المشرق

آثار حمص القديمة

نبذة للاب بولس جوون اليسوعي

كانت حمص منذ بضعة اعوام خارجةً عن دائرة سياحة السيَّاح لا يقصدها من الجوَّالة ألَّا الافراد. امَّا جمهور الزوَّار فكانوا يحجُّون الى الاراضي المقدَّسة ليتبرَّكوا باستلام قبر المسيح واكرام آثار الفادي لذكرهِ المجد في انحاء فلسطين. وربَّما هرع منهم بعض الفِرَق الى جهات الشام لمعاينة مدنها القديمة او يمَّموا بعلبكَّ فيبحث عن ابنيتها العاديَّة او توقَّلوا لبنان لتسريح العيون في مناظرهِ الشائقة والاستظلال تحت اغصان ارزهِ الباسقة وكانت حمص في اثناء ذلك راتعةً في بطحائها الفيحاء مطوَّقةً بقلادة جنَّاتها الغنَّاء. لا يقلق سكينتها رحَّالةٌ اللهمَّ ألَّا نادرًا

امَّا الآن فقد اضحى السفَر الى حمص من اسهل الامور. فتركب عند بُلجة الصبح العَجَلةَ (الديليجنس) من طرابلس وتبلغ حمص بُعَيد العصر فيكون مجموع ما قطعتَهُ من المسافة اربعًا وتسعين كيلومترًا. وليس في طول هذه الطريق من القرى المهمَّة غير تلّ كَلَخ. اما الطريق فتُجاوز شاطئ البحر مدَّةَ ساعتين ثم تدور وراء جبل عكَّار المتَّصل شمالًا بلبنان وهو يشبههُ بعلوّ قممهِ الشاهقة المكلَّلة بالثلوج الغرّاء. ثم تميل نحو الشرق وتنساب في وديان ليست بعميقة الغور الى ان تقطع النهر الكبير المدعو في كتب الاقدمين بنهر ألوثاروس. وتمرُّ في وسط سهل البُقَيعة وهي البطحاء الفاصلة بين سلسلة لبنان جنوبًا وجبل النصيرية شمالًا. ولا يلبث المسافر ان يُشرف على بقعة العاصي وعلى بُحيرة حمص ومياهها الصافية الزرقاء الضاربة الى الخضرة. وبعد قليل تقطع العربةُ نهر العاصي في موضع تزخر فيهِ المياه وتندفع بشدَّة ثم ينتهي المسافر الى حدائق رائعة كرياض دمشق تفضي بهِ الى حمص

واوّل ما يستجلب النظر في حمص قلعتها وهي الآن عبارة عن اكمة واقعة في طرف البلدة تطلّ عليها. فاسرعنا قبل غروب الشمس ان نرقى هذه الربوة لنشمل بلمحة عين جميع انحاء المدينة فنكون على بصيرة من وضعها وخواصّها. وليست حمص كحماة وانطاكية على ضفّة العاصي بل تبعد عنهُ نحو ميلٍ. والسبب الارجح لذلك لتكون المدينة على مقربةٍ من القلعة. فلمَّا رأى الاقدمون انَّ السهل متّسع لايصعب فتح مدينتهم ما لم تكن في حراسة حصنٍ حصين عمدوا الى ربوة كثيرة الصخور في شرقي النهر على مسافةٍ نصف الساعة منهُ فجهّزوها بنقل الموادّ اليها وجعلوها قلعةً في وجه العدوّ

ولم تُبنَ المدينة حوالي القلعة كما ترى في حلب فانَّ قلعة الشهباء صناعيَّة ايضاً وهي في ظهراني البلد تحدق بهِ مساكن الاهاين. امَّا حمص فموقعها في شمالي قلعتها وكانت هذه القلعة من الحصون المنيعة الحريزة التي لايطمع في فتحها الَّا الابطال وهي على صورة مخروط قُطع رأسُهُ ودَوْرها نحو تسعمائة متر وعلوّها فوق المدينة نحو ثلاثين مترًا وجانبها المواجه للمدينة ذو عَطفةٍ سريعة المهبط. امَّا الجانب الآخر فهو مصفَّح بالحجر البركانيّ تصفيحًا محكمًا. لم يبقَ اليوم من هذه القلعة سوى آثار من البناء المستحدَث. ومن استقرى جهتها الشرقيّة وجد عَمَدًا وبقايا ابنية نُقلت كما نظنّ من هيكل الشمس القديم ذي الشهرة الطائرة في حمص. وكان خراب القلعة على يد ابرهيم باشا قوَّضها لانتقاض اهلها عليهِ

وكانت لنا هذه الاكمَة بمثابة مرقبٍ سرَّحنا منهُ العين في انحاء الأفق لمشاهدة المناظر الجليلة المحدقة بحمص. فكنَّا نرى غربًا جبل النصيريَّة الذي يضاهي لبنان في محاسنهِ بيد أنَّهُ اخصب تربةً وهو يمتدُّ من الجنوب الى الشمال موازيًا للبحر وينتهي عند انطاكية. وكنَّا نحاول ان نرى من جهة شمالنا مدينة حماة المشهورة المسمَّاة في كتب اليونان ايبفانية الَّا أنَّهُ كان يحول دون نظرها نجَوات واقعة بينها وبين حمص وبُعد حماة عن حمص نحو ثلاثين كيلومترًا وموقعها على ضفّة العاصي. امَّا من جهة الشرق فما كانت ابصارنا تكتشف سوى الصحراء المتَّسعة الارجاء المنبسطة الى تدمر ثمَّ الى الفرات. بخلاف الجنوب فانَّ مناظرَهُ فتّانة. فكنَّا نُعاين عن بُعدٍ قمم جبل الشيخ الذي وراءهُ عاصمة الشام وحاضرة الخلفاء ثمَّ وادي العاصي وبُحيرة حمص المعروفة ايضاً ببحيرة قادش لوقوعها بجوار مدينة قادش الشهيرة. وكنَّا نرى ايضاً بازائنا ما اشرف على العاصي من سلسلة جبل عكَّار. هذا فضلًا عن ابنية حمص ومساكنها القائمة الواقعة تحت اقدامنا. وهي تحتوي على نيف

وخمسين الف نفس. ولا تجد في ابنيتها الحديثة ما يستحق الذكر فان اكثر بيوتها مربعة الشكل لا طوابق لها يعلوها سطح من تراب مدكوك

هذا وان حليت مناظر حمص الحديثة في عيننا الّا انّنا وجدنا في آثارها القديمة ما هو احرى بالاعتبار والذكرى فاحببنا ان نخص شيئاً من هذه المفاخر التي شرّفت مدينة حمص منذ سالف الزمان

اعلم انّ حمص من اقدم بلاد الشام وقد زعم البعض أنها من بناء اليونان. لكنها قد سبقت عهدهم بزمن طويل وجاء وصف شعبها في مراسلات تلّ العمارنة المكتشفة منذ عهد قريب تطرى هذه الآثار جَلَد الحمصيين وثباتهم وبسالتهم في الحروب وذلك في القرن الخامس عشر قبل المسيح (١

وكانت حمص في القرن السابق لزمان المسيح مملكة مستقلة تولّى امرها دولة وطنية. وقد ذكر اسطرابون الجغرافي (ك ١٦ ف ٢) اسم ملكها سَمْسِغراموس او سَمْپسيكراموس المالك عليها في اواسط القرن الاوّل قبل المسيح. وجاء في كتاب العاديات اليهوديّة ليوسيفوس المؤرخ (ك ١٩ ف ٨) ذكر ملكٍ آخر يدعى ايضاً سمسغراموس عاش مئة سنة بعد الاوّل. وقد خلفهُ في المُلك ولداهُ عزيز وصُوَيم ولم تلبث المدينة حتى استولى عليها الرومان نحو سنة ٨٠ بعد المسيح تشهد بذلك مسكوكات دوميطيانوس قيصر

وفي اسم سمسغراموس المذكور نظرٌ فانّهُ مركّب من «سَمْس» او «شمس» وهي إلهة تلك البلاد. ولا يجهل القرّاء انّ بعلبك (وهي في جنوبي حمص على ثلاث مراحل منها) كانت مركزاً لعبادة الشمس كما يدلّ على ذلك اسمها اليوناني هيليوپوليس اي مدينة الشمس فانتشرت عبادة الشمس في الولايات المجاورة لها

وكان لحمص هيكل عظيم باسم الشمس قد رسم وجههُ الملكُ الروماني كركلا على النقود المضروبة باسمه. وكان هيليوغابال احد ملوك رومة عظيم سَدَنة هذا الهيكل وكان عمرهُ لم يتجاوز الاربع عشرة سنة حين جلس على منصة الملك في سنة ٢١٨. بيد انّ ما اجترحهُ في مدة ملكه من الآثام الفظيعة وما فرط منهُ من افعال التخنُّث والتهتُّك يشهد لنا على سوء آداب عَبَدة الاصنام واحبارهم في حمص

وفي جوار حمص دارت الدوائر على زينب ملكة تدمر اذ احاقت بها قوّات الرومان

(١ Conder: *Tell Amarna Tablets*, p. 18

فخارت دون مقاومتها ونبدّد جيشها وتمكّنت هي من الفرار الّا انها بعد قليل وقعت في ايدي العدوّ وجرى لها ما جرى . وكان اذينة زوجها قُتل غيلة قبلها في حمص (راجع ص ٦٩١ من المشرق)

وفي حمص دُفن خالد بن الوليد الملقّب بسيف الله . ولا يزال قبره مكرّمًا الى يومنا قد بُني فوقهُ مسجد يقصدهُ المسلمون . وليس في البناء ما يستحق الذكر سوى انهُ يعلوه قباب مبيّضة بالكلس . واخبرني الشيخ القائم على حراسة المسجد انّ المسجد قديم البناء وقد رمّمهُ السلطان الملك الظاهر بيبرس لكنّني لم اجد لهُ كتابة ولا شعارًا كما نرى في الجوامع التي شيّدها هذا السلطان في مصر والشام وعليها شعارهُ وهو صورة اسدَين متواجهين

هذا وقد قرأنا في كتاب معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٣٦) ما نصّهُ : «وبها (حمص) دار خالد بن الوليد وقبرهُ فيما قال وبعضهم يقول انّهُ مات بالمدينة ودُفن بها وهو الاصحّ . . وقيل ان خالد بن الوليد مات بقرية على نحو ميل من حمص وانّ هذا الذي يُزار بحمص انّما هو قبر خالد بن يزيد بن معاوية» (اه) والله اعلم

وفي سنة ١٠٩٩ فتح الصليبيّون مدينة حمص ودخلوها بالامان الّا انهم لم يُبقوا فيها للحكم اثرًا . امّا ما شادوهُ من الابنية في كلّ المقاطعة التي بين حمص وطرابلس وعلى شاطئ البحر وفي جبال النصيريّة فانّهُ لا يكاد يُحصى ولم تزل الى يومنا منهُ بقايا جليلة قد وصفها وصفًا حسنًا العلّامة ره (Rey) سابقًا والمسيو دوسو (Dussaud) منذ سنتين

وفي سنة ١٢٦٠ زحفت الى الشام عساكر المغول فوصل طرفٌ منهم الى المعرّة فخرّبوها وتسلّموا حمص وحماة بالامان . غير ان قُطُز التركماني سلطان مصر لمّا علم ان هولاغو كبير المغول رجع الى المشرق ولم يترك في الشام سوى عشرة آلاف فارس بامرة كتبغا نائبه استضعف امرهم وجمع عسكرًا دهمًا لحاربتهم والتقى بالمغول عند حمص وكرهم كسرة قبيحة وقتل كتبغا . بيد ان المغول عادوا بعد ستين قليلة وانتقموا لانفسهم وفرّقوا ايدي سبا العساكر المصريّة التي كان الملك الناصر سيّرها لمقاتلتهم (سنة ١٢٩٩) . وكان آخر اثر لورود المصريين في حمص سنة ١٨٣٢ لمّا فتحها ابرهيم باشا بعد واقعة نصيبين واخرب قلعتها

ومن غريب الامور انّ في حمص وجوارها آثارًا كثيرة مصريّة ترتقي الى عهد الفراعنة .

وقد وُجد منها عدد وافر كاصنام آلهة مصر وتماثيل وتمائم وحلي وادوات شتَّى وقد زعم البعض انَّ هذه الآثار من شغل المصريين اتوا بها الى الشام عند توليهم عليها. وقيل بل هي شغل السوريين وضعوها لخدمة المصريين. وعلى كلّ حال فانَّها تشهد بلسان حالها بنفوذ المصريين واتساع شوكتهم في البلاد الشامية. ودام ملكهم في سوريَّة اجيالًا طويلة في عهد الدول المصريَّة الثلاث الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين فاخذ السوريون شيئًا كثيرًا من عوائد آل مصر وتديَّنوا بدين سكّان وادي النيل وربَّما خلطوا بين اديان مصر والشام فوحَّد اهلُ جُبَيل الاله اوزيريس والههم ادونيس فعبدوهما معًا. وقد وقف المسيو دوسّو في حلّة على مسافة تسع ساعات في غربيّ حمص على كتابة يونانية تدلُّ على تعبُّد السوريين للاله اوزيريس وفيها مكتوب « عبد اوزيريس الذي باركهُ بعل » (١

وحمص مع قدمها لم يكنْ لها في زمن الفراعنة شهرة كبيرة وانَّما كان الامر والعظمة لمدينة اخرى خطيرة الشأن تدعى قادش وكان موقعها عند بحيرة حمص المدعوَّة لذلك ببحيرة قادش. وبقربة من هذه المدينة فاز رعمسيس الثاني ملك مصر « بوعاع الحثيين » بعد اخطار كثيرة دهمتهُ من قبل العدو. ونجا منها « بمعونة ابيه الاله أُمون را ». وقد وصف انتصارهُ هذا على الحثيين في كتابة رتاج هيكل الأقصر وعدَّد في هذه الصفيحة فتوحاته ومفاخرهُ الملكية. وقد رجَّح المسيو غوتيار (Gautier) بعد البحث الطويل ان موقع مدينة قادش كان عند التلّ المعروف اليوم بتلّ نبي مندو

ولكن قد حان لنا الآن بعد النظر في ذكر حمص القديمة ان ندخل البلدة ونتجوَّل في شوارعها لنلتقط شيئًا من اخبارها وآثارها. ولسائل ان يسأل ماذا بقي من ذلك الهيكل المعدود من عجائب الهندسة اي معبد الشمس في حمص. نجيب انَّ بقايا هذا الهيكل عزيزة جدًّا انَّما نظنّ انَّ الحجارة الضخمة البيضاء الضاربة الى الصفرة الباقية الى يومنا في ساحة المدينة بقرب السوق كانت اساسًا لهذا الهيكل. ومن هذه الحجارة قِطعٌ اخرى كبيرة اتخذها البنَّاؤون لبناية السكّة. وما خلا هذه الحجارة لا نجد في حمص سوى الحجر البركانيّ المسودّ الذي يكسو البلدة بهيئة قاتمة كمدة. ولمَّا اراد الحمصيُّون بناء هيكل الشمس لم

(١ Mr Dussaud : *Revue Archéologique*, 1896, p.

يرضوا لالهتهم البهية النور بما فيه لمحةٌ من الظلمة فطلبوا لها حجارة بيضاء جلبوها من مسافة بعيدة وشيّدوا بها هيكلهم

امَّا موقع هذا المعبد الشهير فليس تعيينهُ بامر سهل والمرجح انَّهُ كان في مقام المسجد الجامع الذي يُعرف اليوم بمسجد النور . ومما يؤيد هذا التخمين بقايا اساطين وعمد من حجر الصوَّان الباقية الى اليوم في ساحة المسجد . ومنها عمود ضخم كلسي داخلٌ في جدار الجامع منصوب على ركن قديم وفي وجه الركن كتابة يونانية . فمن يرى هذا العمود لا يشكّ أنَّهُ لم يُزحزَح عن موضعهِ القديم وأنَّهُ كان من جملة بناية جليلة الشأن اخنى عليها الزمان . ولعلَّ في اسم الجامع « مسجد النور » دلالة على موقع هيكل الشمس سابقًا والله اعلم

ومن مآثر حمص الحَرِيَّة بالذكر بناء مرتفع في غربيّ البلدة قريبًا من المقبرة يدعوهُ الحمصيُّون الصومعة . ولا يخفى انَّ الصومعة عند العرب تدلُّ على بناء عالٍ مدقَّق الرأس وربما دلَّ على مقام الرهبان . ولهذه البناية اسمٌ آخر عند اهل حمص يدعونها القبر وبعضهم يسمّيها قبر قيصر . وهي في الحقيقة تشبه القبر بعض الشبه وفيها لمحة من هندسة الحصون . ومن تأمَّلها وجدها كبرج عالٍ مربَّع تبلغ جوانبهُ خمسة عشر مترًا وهو مبنيٌّ بالآجرّ المرصوص الحسن الشيّ بالنار المطليّ بالملاط . وكان خارجهُ مصفَّحًا بنحيت الحجارة لم يبقَ منهُ اثرٌ الّا في جهتهِ الشماليَّة وهو على شكل شبكة تتناوب فيها الحجار السود والبيض . وفيه نقوش هندسيَّة بسيطة تنفصل كلُّ طبقة عن اختها وهي على شكل خطوط ناتئة واكاليل وكلُّها من الحجر الاسود البركانيّ . ولم يطلعنا احد على غاية هذا البناء ولا يُستدلُّ من النظر في اجزائهِ على خواصّهِ لما اصابهُ من الخراب . والظاهر من نقوشهِ انَّ صانعهُ كان من اهل البلد وامَّا تركيب ملاطهِ فهو اشبه بشغل الرومان . وقيل لي انَّهُ وُجدت فيهِ قديمًا كتابة يونانية يؤخذ منها ان البنيان قبر ملوك حمص السابق ذكرهم . ولعلَّ هذا البناء هو الذي ذكرهُ ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٣٣٦) ودعاهُ « القصر » وزعم انَّ بانيهُ هو خالد بن يزيد بن معاوية قال : « وآثار هذا القصر في غربيّ الطريق باقية »

وممَّا اكتُشف حديثًا في حمص سربٌ وجدهُ الخواجا سليم زكّور في مُلكٍ لهُ في حيّ باب السباع . وهو مدفن واسع يُنزَل اليهِ بدرج يُفضي بالزائر الى سطح مربَّع وعلى جانبيهِ يمينًا وشمالًا اربع غُرَف وكلُّ غرفةٍ مهيَّأة لعدة جثث . وهذا المدفن مُحكم الصنع لا

يدخل في بنائهِ حجرٌ وكلهُ مبنيّ بالآجرّ يبلغ طول الآجرَّة ٢٨ سنتيمترًا في ٢٠ س عرضًا وثلاثة سمكًا ويضمُّ الآجرّ بين بعضها ملاطٌ من الكلس ونفاية القرميد والحصى. والحنايا مقوَّسةٌ تتساند الى بعضها. وفي الجدار الداخلي مَشاكٍ أُعِدَّت لوضع الواح غايتهـا دَعْم الآجرّ لئلاً يهبط كما يصنع المهندسون في ايَّامنا بمصر والشام. وكان السطح المربَّع تعلوهُ سابقًا قبَّة وبقربهِ اليوم بئرٌ وبقايا مساكن قديمة. والارجح انَّ هذا البنيان من آثار الرومان وصنناهُ هنا لانَّ مثلهُ قليلٌ في الشام

وترى في كلّ شوارع المدينة بقايا عَمَد واساطين ورؤُوس اعمدة وعَتَبات كُسِرت فاتُّخذت اقسامُها للبناء الحديث. والكتابات اليونانية في حمص كثيرة منها وثنيَّة ومنها نصرانيَّة قد نشر بعضها بالطبع العلاَّمة وَدِنغتُن(١. وفي السنة الماضية قد وجد غيرَها الدكتور لويس موسيل تريل مدرستنا الكليَّة في بيروت. ولا يزال منها شيء كثير داخل بيوت الخاصَّة يصعب الوصول اليها

وقد دخلت النصرانية في حمص بعد المسيح بقليل لكنَّ آثار الدين المسيحي قليلة واخصُّها الكنيسة الكبرى المشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا المعمدان. وكان موقعها في محلّ هيكل الشمس. واخبر ياقوت الرومي (٢: ٣٣٥) « انَّ أبا عُبَيدة لمَّا فرغ من امر دمشق قدم حمص على طريق بعلبكّ ونزل بباب الرُّستَن فصالحهُ اهل حمص على ان أمَّنهم على انفسهم واموالهم وسور مدينتهم وكنائسهم واستثنى عليهم رُبع كنيسة يوحنَّا لمسجد ». وفي هذه الكنيسة بقيت مدَّةً هامةُ القديس يوحنَّا الصابغ كما ذُكر في السنكسار الروماني في ٢٩ آب وفي السنكسار اليوناني في ٢٤ شباط(٢ وقد درست آثار هذه الكنيسة الجليلة

وقد اشتهر في حمص بعض القديسين واشهرهم الطبيب جُلْيان يدعوهُ نصارى حمص باسم إليان وهو من شهداء القرن الرابع امر بقتلهِ مكسيمينوس غاليريوس في سنة ٣١٢م وقبرهُ لا يزال مكرَّمًا الى يومنا في كنيسة الروم بحمص وهو مصفَّح بالرخام الابيض لا يزينهُ شيء سوى صلبان نُقشت فيهِ. وفي حمص استشهد على عهد دِقيوس الشهيدان

---

١) راجع Wadington: *Inscriplions grecques el latines de la Syrie*, p p. 589-591

٢) راجع كتاب الاب نيلس Kalend. utriusque Ecclesiæ I, 111

غَلَنْتيون وزوجتهُ ابيتيمة (١ وفي هذه المدينة ايضاً وُلد في اواسط القرن الخامس القديس رومانوس الشمّاس الذي اشتهر بعدئذٍ في بيروت وكتب التسابيح الكنسيَّة(٢

امَّا مشاهير الادباء والكتبة الذين يفتخر بهم اهل حمص فكثيرون نكتفي بذكر لنجينوس (Longin) الفيلسوف الشهير الذي اختصَّتهُ زينب ملكة تدمر بخدمتها(٣. ومنهم في زماننا الشاعر النصراني المشهور بطرس كرامة الحمصيّ

هذا ما امكننا جمعهُ من مآثر حمص القديمة امَّا حمص الحديثة فلا نتعرَّض لوصفها. والأولى انَّ احد ابنائها يقوم بهذا المشروع فينعتها بما هي اهل لهُ والسلام

اشتراك الكهنة بالتقديس

لحضرة الاب جان پاريزو من رهبانيَّة القديس مبارك

١

(كنَّا اثبتنا في بعض اعداد المشرق (ص ٦٣٠) على هذه المقالة واشرنا الى ما تتضمَّنهُ من الابحاث المهمَّة لمعرفة اصول الطقوس الشرقيَّة. فسألنا بعض ارباب الدين ان نترجِّها لهم ليقفوا على فوائدها وينسجوا على منوالها فلبَّينا الى طلبتهم بعد نوال الرخصة من صاحبها)

لا يخفى انَّ اوَّل من تَعهدُ اليهِ الكنيسة القيامَ برُتبها المقدَّسة انَّما هو الاسقف ثمَّ فرضت على الكهَنة الذين تحت سلطتهِ ان يصحبوا الحَبرَ في تتميم هذه الطقوس الجليلة فينجزوها بمعيَّتهِ (٤

ولمَّا كانت هذه الرتب في اوائل الكنيسة تتمُّ على نظام خصوصي ترى المجامع المقدَّسة تكرّر في قوانينها الامر للكهنة بان لا يقوموا بشيءٍ من الخِدَم الدينيَّة بمعزلٍ عن الاسقف. ولا يباشروا رتبةً ما بحضورهِ ولاسيَّما تنهاهم عن تقريب القربان امامهُ. قال القديس اغناطيوس الشهيد في رسالتهِ الى اهل ازمير(٥: «فليحظر الكهنة ان يتولَّوا بنفسهم دون الاسقف شيئاً من الخدَم الكنسيَّة. وليعلموا انَّ القربان ليس بشرعيٍّ ثابت (βεβαία)

١) Ib., I, 293 ٢) Ib., I, 316

٣) راجع ترجمة لنجينوس التي كتبها سويداس (Suidas)

٤) راجع مقدَّمة تكريس الكهنة حسب رتبة الطقس الروماني (Pontifical romain)

٥) راجع مكتبة الآباء الكنسيَّة اليونانية (Migne, V, 713)

الّا اذا قرّبهُ الاسقف او الكهنة الذين فوّض اليهم ذلك اسقفهم . فبدون الاسقف لا يسوغ فكاهن ان يُنصِّر احدا او يعقد حفلة القربان »

وكانت الرسوم القديمة تنهى عن نصب مذابح كثيرة في كنيسة واحدة وتأمر بتقدمة ذبيحة واحدة في النهار على المذبح الوحيد المنصوب فيها . وكما انّ الكنيسة حتمت على المؤمنين بحضور هذا القدّاس الحافل في ايّام الاعياد وبتقدمة ما سمحت به انفسهم من التقادم وباقتبال سرّ القربان هكذا افترضت ايضاً على خدَمة الدين ان يحضروا في تلك الايّام لتتميم واجبات مراتبهم كلٌّ على حسب درجتهِ . فكان الشمّاس الرسائليّ يخدم الرُّتب السفلى والشمّاس الانجيليّ يخدم الكهنة في المذبح امّا الكاهن فكان يشترك بالذبيحة اشتراكاً تامًّا ليس فقط بالتقرّب كبقيّة المؤمنين لكن ايضاً بانجاز الذبيحة بصحبة الاسقف

فهذه كانت العادة الجارية في غرّة النصرانية . وجاء في كتاب الرسوم الرسولية (١ : « انّهُ يُقتضَى عن الكهنة ان يقفوا على يمين الاسقف وشمالهِ في وقت اقامة التقديس كما كان التلاميذ محدقين بالربّ في العشاء السرّي . واذا صلّى الحبرُ بخفوت الصوت عليهم ان يقتدوا بمثالهِ » . فيتّضح من هذا القول انّ الكهنة كانوا يحضرون الذبيحة اذا قدّمها الاسقف ويشاركونهُ في العمل

وفي قوانين مجمع قيصار (Néocésarée) المنعقد قبل المجمع النيقويّ (سنة ٣١٥) كلام صريح عن تقدمة الكهنة للذبيحة مع الاسقف . فانّ الآباء يحظرون على الكهنة الغرباء ان يقاسموا اسقف البلدة وكهنتها في الذبيحة اذا اتوا مدينة غير مدينتهم وقد استثنوا من هذا الحكم من كانت لهُ رُتبة الخوريفسقوفوس فيُسمح لهُ « ان يشارك في الذبيحة العمومية » من يتولّى تقدمتها وذلك اجلالاً لشأنهِ (٢

ولنا شاهد آخر لا ريب فيهِ على هذه العادة في ما اثبتهُ باسيانوس اسقف افسوس في المجمع الخلقيدوني بخصوص احد كهنتهِ المدعو اسطفانوس قال (٣ : « وكان اسطفانوس احد كهنتي قدّم معي الذبيحة مدّة اربع سنوات وتقرّب معي وتناول من

---

١) راجع Pitra : *Juris Eccl. Græc. Historia*, p. 399, Constit. Apost. VIII ,١٢

٢) راجع الكتاب نفسهُ ص ٤٥٣ و ٤٥٤

٣) راجع مجموع قوانين المجامع (Labbe, IV, c, 695)

مدي انا اسقفهُ » وشهد ايضاً ان اساقفة زمانهِ اذا وُجدوا سوا، قدموا الذبيحة معاً (λειτουργήσαντες πάντες ὁμοῦ)

وقد ورد في ردّ القديس اثناسيوس على اشياع آريوس انَّ ايسخيراس احد كهنتهم « لم يشارك قطّ الاسقف في التقديس مع غيرهِ من الكهنة »(١

ومما يُخبر عن القديس سمعان العمودي انَّ اسقف انطاكية دُمنوس اتاهُ ليزورهُ فقدس كلاهما في وقت واحد وقدَّما جسد المسيح الطاهر ثم اقتبلا القربان الاقدس من يد بعضهما بالمناوبة (٢

وقد بقي شي٠ من هذا الطقس الى عهدنا اليوم في المشرق كما سنبيّن. اماً المغرب فقد جرى على هذه العادة الى غاية القرن الثالث عشر والادلّة على ذلك كثيرة في كتب المؤلفين الكنسيّين فان استقرينا شواهدهم ادركنا حقيقة هذه الرتبة عندهم

ذكر التاريخ عن القديس بولينوس النولي انّهُ استقدم الاساقفة عند وفاتهِ (سنة ٤٢٦) وطلب اليهم ان يقدّموا جميعاً الذبيحة القُدسيّة امامهُ لكي يشترك معهم بتقدمتها وينال بحسن دعائهم رحمةً من الله عند تفارق روحهُ جسدَهُ. ثمَّ رخّص للذين منعهم عن مشاركة الاسرار ان يعودوا اليها في تلك الساعة ليمنحهم قُبلة السلام (٣

ومن رسوم مجمع طليطلة (سنة ٤٠٠) ان يحضر الكهنةُ والشمامسة كلّ يوم الذبيحة الالهية (٤. وحتم كذلك مجمع طرّاغونة (سنة ٥١٦) على كلّ الاكليريكيين ان يجتمعوا ويستعدّوا منذ مساء السبت لرتبة يوم الاحد فيحضروا حفلتها جميعاً (٥. وقد بيّن مجمع اقليم ابرثونية (سنة ٥٨٥) معنى هذا الرسوم فقال (٦: « ويُفرَض على كهنة المعابد وكنائس القرى في ايّام الاعياد الاحتفالية كعيد الميلاد والفصح والعنصرة ان يجتمعوا في المدينة عند اسقفهم ولا يجوز في مثل هذه الايام ان تُتمّ الذبيحة الّا في البيعة الاسقفية ». وهذه القوانين تُشعر بانَّ الكهنة كانوا يشتركون مع الاسقف في تقدمة القدّاس ولولا

---

١) راجع اعمال الاباء اليونان (Migne, XXV, 296)
٢) راجع التاريخ الكنسي لايفغريوس ك ١ ف ١٣
٣) راجع اعمال الاباء اللاتينيين (Migne, LIII, 860-861)
٤) راجع مجموع قوانين المجامع (Labbe, II, 1224)
٥) Idem, IV, 1564 ٦) Ib., IV 1806

ذلك لوجب القول انّ الكهنة لم يقدّسوا في الاعياد الاحتفالية وهذا امرٌ غريب لم يمكن التسليم به

وكذا يُخبَر عن القديس غريغوريوس البابا أنهُ لمّا قدم عليهِ وَفد بطريرك القسطنطينية قرياقوس أذن لهم بان يشتركوا معهُ في تقديس الذبيحة (١ . وبخلاف ذلك نرى رُسُل البابا يوحنّا الثامن يأبون ان يقيموا القداس مع بطريرك القسطنطينية لان الحبر الروماني لم يسمح لهم بذلك (٢

وشهد أمالار في كتابهِ عن الرتب الكنسيّة (٣ على عادة كنيسة رومية بهذا الشأن قال: « وفي رومية العظمى يُساعد الكهنةُ الاسقفَ في اثناء الذبيحة ويوافقون الحَبر بصوتهِ وحركاتهِ ». وفي هذا القول دليل على انَّ المشتركين في التقديس كانوا يتلون الصلوات التي يجاهر بها الاسقف ويرسمون على مثالهِ العلامات الطقسية. وقد نقل كثيرون في الكتب الليتورجية ما اوردهُ امالار المذكور . . .

وكانت كنائس فرنسة تجري هي ايضاً على هذه العادة فيتّفق الكهنة مع الاسقف للتقديس. يتقدّمون معهُ الى الهيكل ويقبلون منهُ قُبلة السلام ويجلسون اذا جلس ويقدّمون تقادمهم في اثرهِ ويشاركونهُ في تقديس جسد الربّ (٤ . ولعلَّ الاساقفة كانوا يتناولون القربان من ايدي بعضهم بعضاً كما مرَّ عن القديس سمعان العمودي (٥

وذُكر في كتابِ أمضاهُ اكليروس مدينة رِمس انَّ رئيس اساقفتهم إِبون لمّا عاد الى كنيستهِ (في سنة ٨٤١) دخل البيعة وبصحبتهِ خمسة اساقفة وبعض كهنة فرافقوهُ الى كرسيهِ وجلسوا معهُ يباشرون كلَّ رُتَب القدّاس الالهي (٦

وكان للبيعة الرومانية بعض عوائد خصوصيّة لم تعمَّ غيرها من كنائس الغرب. ففي

---

١) راجع مكاتيب القديس غريغوريوس في مجموع اعمال الاباء اللاتينيين (Migne, LXXVII, 892)

٢) في مجموع اعمال المجامع (Labbe IX, 142)

٣) في الكتاب الاوَّل الفصل الثاني عشر (Migne, CV, 1016)

٤) راجع كتاب امالار في شرح القداس (Migne, *l. c.*, 1244, 1317, 1321)

٥) يؤخذ ذلك من قول امالار في الكتاب المذكور (Migne, *l. c.*, 1328):
« Solent aliqui episcoporum quando invicem communicant tres portiones facere de oblatâ »

٦) راجع كتاب (Gallia Christiana, X, *Suppl.* p. 6)

الاربعة الاعياد الآتية وهي الفصح والعنصرة وعيد القديس بطرس هامة الرسل وعيد ميلاد الرب كان يجتمع الكرادلة من رتبة الكهنة للتقديس فيعطى كلُّ واحد منديلًا يضعهُ على يديهِ ثمَّ يتقدَّم لهم كبير الشمامسة ثلاث خبزاتٍ. فاذا ما رقي الحبر الى المذبح قام الكهنةُ حولهُ على يمين الهيكل وشمالهِ في باحة الكنيسة فيتلون كلام التقديس معهُ على الخبزات التي في ايديهم. الَّا ان الاسقف وحدهُ كان يرسم اشارة الصليب على الكأس يمينًا وعلى الخبز شمالًا. وسبب هذا الاختلاف في كنيسة رومية دون الكرادلة المشاركين للحبر الروماني في التقديس. فكانوا لو احاطوا بهِ عند المذبح وقدَّسوا الاسرار بقربهِ لم يتهيأ للمؤمنين ان يروا الاسقف ويسمعوا صوتهُ فلذلك تحتَّم إبعادهم عن الهيكل وتقديسهم على تقادم خصوصية كانت في ايديهم فتشغلهم عن الحركات الطقسية (١

وكان الكرادلة في غير هذه الاعياد الاربعة يحضرون فقط القدَّاس الحبري ويتقرَّبون الى قبول الاسرار من يد البابا. وكانوا اذا حان وقت الكلام الجوهري يجدوا وراءهُ صفوفًا مع الشمامسة الانجيليين والرسائليين ولا يتلو كلام التقديس غير الحبر الروماني (٢

وبقيت هذه الرتب الى القرن الثالث عشر كما يشهد على ذلك البابا اينوكنتيوس الثالث في كتابهِ عن الذبيحة (٣ قال: « ويقوم الكرادلة الكهنة وراء الحبر ويشاركونهُ في التقديس حتى اذا انتهت الذبيحة تناولوا الاسرار من يدهِ اشارةً الى حضور الرُّسل حول المسيح في العشاء السرّي لمَّا قبلوا من يدهِ القربان الاقدس. امَّا اشتراك الكرادلة بالتقديس مع الحبر فذلك يبيّن لهم كيف تعلَّم الرسلُ من الربّ رتبة التقديس ليس الَّا »

وآخر شاهد على هذه العادة القديمة انَّما هو جاك دي ڤتري (المتوفى في سنة ١٢٤٠ وقيل ١٢٤٤) قال: « وقد جرت العادة ان يساعد الكرادلةُ الحبرَ الاعظم في تقدمة القداس ويشاركوهُ فيه » (٤. بيد انَّ هذين القولين الاخيرين لم يُذكَر فيهما شي·

١) راجع كتاب الطقس الروماني في مجموع اعمال الاباء ك ١ ف ٨ (Migne, LXXVII, 995)

٢) راجع الكتاب نفسهُ Ibid., 945, 974, 981

٣) في الكتاب الرابع ف ٢٥ (Ib., CCXVII, 874)

٤) كتاب تاريخ الغرب ف ٣٨

عن مشاركة الكرادلة للبابا في تلاوة الكلام الجوهري معهُ

وامَّا ما ذكرهُ العلاَّمة مابيلون (١ عن كُرّاد اسقف اوستيا وغيليوم اسقف رِمْس انهما قدَّسا على مذبحين مجاورين في وقت واحد يومَ دُفن الملك فيليب أُرغست وانَّ الاكليروس كان يجاوب لكليهما معًا فذلك يخرج عن موضوع كلامنا لأنهُ يدلّ على تقدمة قداسين في وقت واحد لا على اشتراك اسقفين في ذبيحة واحدة.

٢

وبطلت هذه العادة في رومية كما يظهر في اواخر القرن الثالث عشر. فانَّ دُوران دي سان بُرْسيان (المتوفّى سنة ١٣٣٣) كتب في شروحهِ على تآليف بطرس لُمبَرْد: «انَّ عادة القدّاس الاشتراكي قد انتسخت وانَّنا لم نشاهد مطلقًا في طول مدَّة اقامتنا في جوار الحبر الرومانيّ احدًا يشارك البابا بالتقديس (٢»

امَّا الاسباب لإبطال هذه العادة فمختلفة ولعلَّ اوَّلها انَّ الاحبار الرومانيين سكنوا في ذلك الوقت مدينة افينيون فلم يسمح ضيق كنيستها بمباشرة هذه الرتب الحافلة التي كانت تقتضي مسحةً كبيرة كما ترى في كنائس رومية. ولمَّا عاد البابوات الى ايطالية شغلتهم الشواغل وصدَّتهم فتن الايطاليين التي اضعفت قوَّة النصرانية في ذلك العصر عن تجديد هذه الرتب الجليلة

وزد على ذلك انَّ الرهبانيات كانت توفَّرت في تلك الاثناء فاعتاد الرهبان ان يقدّموا الذبيحة مرارًا في الاسبوع وذلك تنشيطًا لعبادتهم الخاصَّة او وفاءً بما فُرض عليهم من القدَّاسات لراحة الموتى ولقبولهم حسنات الاوقاف. وعلى مثالهم اخذ الكهنة العالميّون يقدّسون على انفراد

وجعل اللاهوتيون في ذلك الوقت يبحثون عن صحَّة التقديس الاشتراكيّ وتعدّدت

(١ كتاب. Vetera analecta, p. 384

(٢ Comment. in l. IV Sentent., dist. XIII, 9, 3. وكتب بطرس ايليوس (سنة ١٣٧٠) في كتاب الرتب ما نصُّهُ: «وفي القداس الثاني يوم عيد ميلاد الرب يناول البابا الاسرار لكل من ليسوا من رتبة الاساقفة لان الاساقفة قد حُتم عليهم ان يقدّموا الذبيحة على حدة» (Migne, LXXVIII, 1184)

الابحاث في ذلك وتضاربت الاراء حتى جزم كثيرون بعدم جواز الامر وسندوا قولهم الى حجج لا حاجة في تعدادها هنا (١

وعلى كلّ حال فانّهُ لم يبقَ اليوم في كنائس الغرب أثر لهذه العادة القديمة الّا في موقفين فقط اعني في يوم تسقيف الاساقفة ويوم رسم الكهنة

وتكريس الاسقف على حسب العادة المألوفة اليوم يتمُّ قبل قراءة الانجيل. فاذا آن وقت التقدمة قام الاسقف الجديد على شمال المذبح وامامهُ كتاب القدّاس يتلوهُ مع الاسقف الذي سقّفهُ ويصنع معهُ كلّ الاشارات الطقسيَّة ولا يتّخذ الاسقفان الّا قرباناً واحدًا وكأساً واحدة ويتلوان صلوات التقديس على صورة لفظ الجمع (٢

وبعد ان مثبل الاسقف القائم بالحفلة سرّ القربان تحت شكلي الخبز والخمر يقدّم للاسقف الجديد قسماً من البرشانة المقدّسة ونصف مضمون الكأس فيتناولها وهو واقفٌ في مكانهِ

واذا كان عدد الاساقفة المكرَّسين كثيرًا وقفوا في وقت التقديس على شمال الهيكل ولا سبب لذلك سوى حاجة الاسقف المتولّي الحفلة الى كتاب التقديس من عن يمينه وهناك يقف الكاهن المساعد له. واذا نُقل كتاب التقديس الى شمال الهيكل انتقلت الاساقفة الجدد الى اليمين

وكانت قديماً كتب الرتب تفرض على رئيس الرهبان بعد انتخابه ان يقبل القربان كالاسقف يوم تكريسهِ تحت شكل واحد (٣. امّا العادة الجارية اليوم في انتخاب هؤلاء الرؤساء فهي مختلفة فانّهم يحضرون فقط القداس ولا يشاركون المحتفل في التقديس وانّما يتقرّبون الى الاسرار وهم جاثون

امّا المقام الثاني الذي يشارك فيهِ الكهنة الاسقف في التقديس فهو يوم ارتقائهم الى منصب الكهنوت فانّهم يجثون وراء الاسقف او على احد جانبي الهيكل فيتلون معهُ كل صلوات القدّاس ويشاركونهُ في كلّ اقسام الذبيحة تالين معهُ ايضاً الكلام الجوهري

---

١) راجع Suarez: disp. LXI, sect. IV, 5 و De Lugo: *de Eucharistia* disp. XI, S. VIII

٢) راجع كتاب الطقوس الحبريَّة الرومانية

٣) راجع كتاب طقوس الكنيسة القديمة (Martène, II, p. 67)

ويتناولون القربان من يدهِ تحت شكل واحد. وكانوا في سابق الزمان يقفون حول الهيكل ويتلون مع الاسقف كلَّ صلوات القداس ويصنعون معهُ الاشارات الطقسية كأنهم يقدّمون الذبيحة ثم يتناولون من الشكلين (١. والعادة الجارية اليوم يرتقي أوّل استعمالها الى سنة ١٤٨٥

وليست رتبة الاشتراك في التقديس يومَ نَصْب الاساقفة ورسم الكهنة الجدد من آثار عادةٍ قديمة. فأننا لا نجد لها ذكرًا في كتب الطقس السابقة للقرن الثاني عشر. وقد ورد ذكرها في احد تآليف القديس توما الأكويني كعادة جارية في بعض الكنائس وذلك ليتّخذ المترشحون للاسقفيَّة والكهنوت مثالًا يقتدون بهِ عند تقدمتهم الذبيحة على حدةٍ. وعمَّت هذه العادة كنائس المغرب بعد انعقاد المجمع التريدنتيني وتوحيد كتب الطقس على مقتضى اوامر الاحبار الرومانيين

امَّا في الاجيال المتوسّطة فكانت العادة الشائعة ان يحتفل الاساقفة وحدهم يوم تسقيفهم بقداس احتفالي وترى في كتب الطقس القديمة صورًا شتَّى لرتبة قداس الاساقفة الجدد بل والكهنة المرسومين حديثًا (٢ وكلُّ ذلك دليل على التقديس الشخصي الذي لم يشترك فيهِ احد مع المباشر للطقس

وقد يوجد عند الغربيين صنف آخر من اشتراك جمهور الكهنة في الاسرار ما خلا التقديس وذلك يوم خميس الاسرار عند تكريس الميرون فانَّ الاسقف يقوم بهذه الرتبة بمساعدة اثني عشر كاهنًا لم يحضروا فقط اجلالاً للاسقف لكنهم يشاركونهُ ايضًا في تجهيز الميرون فتراهم ينفخون على الاناء المحتوي لهُ ويرمزون عليهِ ويصلّبون الى غير ذلك من الطقوس التي يسبقهم اليها الاسقف فيصنعونها بعدهُ...

وفي الكتب الطقسية التي كانت مستعملة في كثير من كنائس فرنسة آثارٌ باقيةٌ الى يومنا تنبئ بالعادة القديمة التي نحن في صددها. فهذه الليتورجيات تعيّن عددًا معلومًا من الكهنة اللابسين الغفّارة ليقوموا بجوار الاسقف او بقرب الهيكل ويتبعوا صلوات التقديس...

١) راجع الكتاب السابق (Ibid., l. c.)

٢) راجع ; Muratori : *Liturgia Romana Vetus*, *Venise*, 1748, p. 427-431
Ménard : *Sacramentarium Romanum*, III, 227

٣

بقي علينا ان نذكر شيئاً من عوائد الشرقيين في الوقت الحاضر بخصوص القداس الاشتراكي. فالكنيسة اليونانية لا تزال الى يومنا هذا محافظة كلَّ المحافظة على هذه العادة القديمة. فانَّ الروم ومن يجري على طقسهم لا يقدّسون في النهار الّا قدّاساً واحداً على مذبح واحد. فاذا وُجد كهنةٌ كثيرون في بعض الكنائس اجتمعوا معاً لحفلة القداس العمومي

وهاك بالتلخيص ما ورد في كتاب الليتورجية المطبوع حديثاً (سنة ١٨٩٦) باليونانية في الاستانة بامر سينودس الروم الارثوذكسي (ص ١٤٥ الى ١٥٠):

في ايّام الاعياد الاحتفالية المدعوَّة بطقس القداس الاشتراكي ἱερατικὸν συλλειτουργόν انها لعادة جارية بيننا ان يشترك كهنة كثيرون في التقديس. فاذا تمّت تلاوة الصلوات المفروضة وآنت ساعة الذبيحة يقوم الكاهن المعيَّن في كلّ اسبوع لمباشرة الرتب فيعدّ اللوازم للذبيحة. امّا بقيّة الكهنة فلا يقومون اليه الّا بعد اقامة صلوات أُخر متناوبين في تلاوتها في الخورس فيتح الواحد البركة ويتلو الآخر صلاة التريزاغيون ثم يعود الاوّل فيقول «لانَّ لك المجد» والآخر «ارحم يا ربّ» الخ. فبعد ذلك يدخلون جميعاً قدس الاقداس وبعد لبس البدلات الكهنوتيّة ينتصبون امام المذبح فيقوم في الوسط الكاهن المتولّي الذبيحة وعلى يمينه الشماس. امّا بقيَّة الكهنة فعلى جانبي المذبح

« ثمَّ يتقاسمون تلاوة الصلوات بصوت جهور على نظام معيَّن. غير انَّهُ اذا كُرّرت الصلاة مرارًا ينبغي ان يعيدها الكاهن نفسهُ. امّا صورة كلام الرب « خذوا وكلوا » او « خذوا واشربوا منهُ جميعاً » فيتلوها الكاهن الاوّل بالرتبة وحدهُ. وكذلك يتناوب الشمامسة في تلاوة او ترتيل الصلوات المعيّنة اذا كثر عددهم »

ومن غريب الامور انهُ ربّما وجد كهنة وشمامسة يتّبعون الطقس اليوناني ولكن يباشرونهُ بلغات مختلفة كاليونانية والعربية والسلافية فتُتلى حينئذٍ الصلوات بكل هذه اللغات في القداس الواحد

واذا صار الطواف المعروف بالدخول العظيم يطوف الجميع فيحمل الكاهنُ المترئس الحفلة الكأس ويحمل الشماس الصينية وكلّ واحد من الكهنة شيئاً من ادوات التقديس

كاللعقة والحربة وغير ذلك. وعند قبلة السلام يأتي الجميع ويقبّلون الهيكل. وقبل تلاوة الكلام الجوهري ينزع الكهنة المشتركون في الذبيحة الغطاء الذي هو فوق القدام فينفضونهُ معاً ويطوونهُ ويضعونهُ على الهيكل

وبعد ان يتناول الكاهن الاوَّل القربانَ ينصرف عن الهيكل فيتقرب كلٌّ من الكهنة بنوبتهِ الى المذبح ويتناول من الشكلين. ثم يُعطى للشمامسة شيء من القربانة توضع في يدهم فيتناولونها بجانب الهيكل. ثم يعود الكلّ الى المذبح بعد قبولهم خمر البركة ويختمون القداس بالصلوات الاخيرة

وعند الملكيين بعض اختلاف في اتمام هذه الرتبة. فان الكهنة المشتركين في التقديس يتلون بصوت متخافت كلَّ الصلوات التي يرتلها واحد منهم ويصنعون جميعاً كلَّ الاشارات والبركات الطقسيَّة كما أنهم يتلون معاً كلام الربّ الجوهري على الخبز وعلى الخمر مشيرين اليها وهذه الاشارة لم يُعد لها ذكر في الكتب اليونانية الطقسية المطبوعة حديثاً في الاستانة

وقد جرت العادة في بعض كنائس الملكيين ان يخلع الكهنة الثياب الكهنوتية بعد المناولة فيتركوا الكاهن الاوَّل يتمّم الفرض وحدهُ. بيد ان كثيرين لم يرضوا بهذه العادة ويعدُّونها خرقاً في الطقوس. امَّا تلاوة الكهنة جميعاً فكلام الجوهري فقد اعتاد الامرَ كهنةُ الملكيين رغبةً في التقرب الى الكنيسة الغربية في الاجيال الاخيرة. وانَّما الغالب على ظنّنا انَّ العادة القديمة شرقاً وغرباً لم تختلف عمَّا تثبتهُ اليوم الكنيسة اليونانية في كتبها الطقسية فانَّ اشتراك الكهنة بالتقديس كان في الزمن الماضي واسع المجال فيشترك الكهنة جميعاً بالنية ويتقسمون بينهم اقسام الصلوات واتمام الرتب المختلفة ويشمعون اعمال الذبيحة ويقرِّبون الى الاسرار المكرَّسة وقت الذبيحة تحت الشكلين

قال العلاَّمة جيورجي (1 في هذا الصدد : نقلاً عن بنديكتوس الرابع عشر « انَّ حقيقة هذه الرتبة ليست بمتوقفة على كون الكهنة جميعاً يتلون كلَّ صلوات الذبيحة معاً. وهذا رأي مورين في كتاب الرتب المقدَّسة اذ يقول : وكان الحبر الاعظم في بدء النصرانية يتلو الكلام الجوهري وحدهُ مع مشاركة الكهنة لهُ في التقديس. ثم بعد توالي الاجيال

(1 راجع Morini : *De* و Giorgi : *De Liturgia Rom.*, *Roma* 1744 p. 13 *sacris ordinationibus, III, Exerc. VIII, c.* 1

جعل الكرادلة من رتبة الكهنة يوافقونهُ ايضاً في تلاوة هذا القسم الجوهريّ » وقد شهد الكتبة على دخول هذه العادة في كنيسة رومية. امَّا خارجاً عنها فلم نجد في كتب القدماء شيئاً يؤيد رأي من يحتج على الكهنة عند اشتراكهم بالذبيحة ان يتلوا جميعهم الكلام الجوهري. ولا يُبطل قولنا عادةُ الاساقفة والكهنة الجدد في تلاوتهم كلّ صلوات القداس دون استثناء. لأنّنا بيّنّا سابقاً ان هذه الرتب حديثة النشأة

امَّا بقية الطوائف الكاثوليكية في الشرق كالموارنة (١ والسريان فانَّهم قد ابطلوا بحكم مجامعهم هذه العادة واقتدوا بالكنائس الغربية فلا ترى بينهم اثرًا للاشتراك في التقديس

وممَّا تقدَّم يمكننا الآن ان ندرك ما ورد مرارًا في قوانين الكنيسة القديمة بخصوص العقابات الكنسيَّة والنهي عن مشاركة الاسرار. فان الذي كانت تحرمهُ الكنيسة من اسرارها ليس فقط لم يَسُغ لهُ ان يتناول القربان لكنَّهُ ايضاً كان يُحظَر عليه ان يقرّب التقدمة للهيكل وان كان من اعداد الاكليروس لم يُسمح لهُ بتتميم واجبات رتبتهِ. وبعكس ذلك من كان يُقبل في شركة الكنيسة كان يرخَّص لهُ بان ينتظم في سلك الكهنة ويتلو صلواتهم القدسة وينال منهم قبلة السلام ويشاركهم في تناول القربان الواحد والشرب من الكأس الواحدة فيصرّح امام الجمهور اتفاقهُ مع الكنيسة جمعاء بالمحبَّة ووحدة الايمان كما جاء في سفر اعمال الرسل (٢:٤٤-٤٦): « وكان جميع المؤمنين معاً وكان كلّ شيء مشتركاً بينهم... ويلازمون الهيكل كلّ يوم بنفس واحدة ويكسرون الخبز... »

---

١) قد قلنا في كلامنا على هذه المقالة سابقاً انَّ كهنة الموارنة لا يزالون الى يومنا هذا يشتركون في تقديس ذبيحة واحدة (راجع المشرق ص ٤٣٠) فلا يلبس الحلَّة الَّا متولي الذبيحة امَّا بقيَّة الكهنة فيكتفون بالبطرشيل وهم يقتسمون صلوات التقديس بينهم فالانجيل مثلًا يقرأهُ في الغالب الكاهن الثاني. امَّا الكلام الجوهري فيتلونهُ جميعاً ويتناولون من يد المتقدّم. ونظنُّ انَّ اليعاقبة والنساطرة يحافظون الى يومنا على عادة القدَّاس الاشتراكي وفقاً لطقوسهم القديمة (المشرق)

اخبار علمية

للاب سبستيان رتزفال اليسوعي

١ نظارة معرض باريس

وقفنا في العدد الاخير من «مجلّة المسائل العلمية» المطبوعة في مدينة لوفين من اعمال بلجكة على شيء من اخبار تلك النظّارة المدهشة التي باشر بصنعها منذ امد بعيد المسيو غوتيار احد متوظفي مرصد باريس. وهو عازم ان يتمّم هذا العمل الخطير قبل افتتاح المعرض الباريسي سنة ١٩٠٠. فاحببنا ان نورد لقرّائنا الكرام خلاصة ما انبأتنا به المجلة المذكورة لما فيه من الفوائد العلمية والصناعية معاً

ان اعظم النظّارات المعروفة الى هذه الغاية انما هي نظارتان موجودتان في اميركة اعني بهما نظّارة مدينة ليك (Lick) من اعمال كاليفورنية ونظارة يركس (Yerkes) من ولاية ويسكنسين (Wisconsin) . وعدسية الاولى قطر دائرتها ٩٣ سنتيمترًا والثانية ١٠٧ س. اما طولها فواحد بالتقريب اي نحو ٢٠ مترًا. ولا خفاء انّ طولاً كهذا يقتضي لحسن استخدام النظارة آلات عديدة وابنية خاصّة واسعة الارجاء. وقد اخذ الناس العجب عند مجاز النظّارتين الموماً اليهما ولم يكد يخطر ببال احد من الزوّار انهُ يمكن تجهيز نظارة اخرى تكون اضخم واطول منهما

الّا ان نظارة المعرض الباريسي تفوق نظارتي الاميركان طولاً وعرضاً وتزري بهما إزراء الجبّار بالنتبل. فان طولها ٦٠ مترًا وعرضها متر ونصف وقطر دائرة عدسيّتها متر و٢٧ س. وهذه الآلة العجيبة متركبة من ٢٤ قطعة وموسّسة أفقيًّا على عدّة دعائم متينة. وممّا يجعل بين آلة المسيو غوتيار والنظارات السابقة لعهده بونًا شاسعًا انها ستكون ثابتة على محورها. فهذا يخالف ما نشاهدهُ في سائر مراصد العالم حيث تكون النظارات قابلة للتحريك من جهة العرض والطول بالسواء.

ولسائل ان يسأل فكيف إذن يمكن رصد الكواكب والنجوم بواسطة آلة راسخة غير قابلة للدوران الى جهات السماء. نقول انّ ثبات النظارة في حالة واحدة افقيًّا كان ام

عموديًا لا يمنع الفلكيين من أبحاثهم العلمية · ولهم في ذلك طرائق تظفرهم بالمرغوب · منها طريقة العلامة فوكو (Foucault) الذي اخترع مرآة سمَّاها سيداروستات (sidérostat) تقبل صورة الاجرام العلوية فتعكسها الى عدسة النظارة · فآثر السير غرتبار هذه المرآة على ما سواها لفوائدها الوافرة · لانهُ اذا ثبتت النظارة سهل اتخاذ آلات رصدية بسيطة مع سهولة تحريكها ولا حاجة الى آلة تنهض بالراصد الى علوّ يناسب علوّ عدسة العين عند مراقبة الكواكب

وخلاصة القول ان النظارة الباريسية ستكون ثابتة أفقيًا وانما تتحرك المرآة بواسطة آلة شبيهة بآلة الساعات · وهي التي تعكس صورة النجوم الى الزجاجة الاولى فيراقبها علماء الهيئة على غاية السهولة والدقة

اما سبك تلك المرآة الجليلة الفائدة فامرٌ لا يكاد العامة يتخيلون ما يسترجعهُ من الدقة والبراعة · لان عرض دائرتها متران وسمكها ٣٠ س · فيكون اذًا ثقلها ٣٦٠٠ كيلوغرامًا · وهذا ثقل يفوق ثقل جميع المرايا التي سُبكت في معامل المسكونة · وقد عرضت الحكومة الفرنسية عمل تلك المرآة على متولي معمل القديس غوبين ودفعت له مبلغًا يساوي ٢٠٠,٠٠٠ فرنك · الَّا انهُ لم يجاوب الى طلبتها · ثم اقترحت ذلك على غيره من اصحاب المعامل الزجاجية فلم يرضَ احد منهم بسلوك هذه الطريقة المتوعرة · فاستمرَّ الامر على هذه الحال مدة سنتين الى ان رضي المسيو ديبره (Despret) رئيس معمل جومون بمباشرة هذا المشروع على شرط ان يُدفع له مبلغ يوازي كل النفقات اللازمة لنجاح الاختبار · فقبلت الحكومة شروطهُ وصبَّ ١٢ مرآة لم تنجح منها سوى مرآة واحدة وهي الاولى وأُهمل الباقي · ثم باشر بصقل المرآة الجديدة وقد استمرَّ على هذا العمل الدقيق ٨ اشهر حتى تمَّ في اواخر الشهر المنصرم

وفضلًا عن تلك المرآة التي هي اساسية في استخدام النظارة اعدُّوا عدسة مختصة بتصوير الكواكب والنجوم والظواهر العلوية · وهي زجاجة نفيسة في غاية الاتقان يمكنها ان ترسم صور الكواكب مع لطف نورها وبُعدها بسرعة آلات التصوير المألوفة

وكأني بالقارئ يقول : فماذا تكون اذن قوة هذه النظارة المدهشة · أُجيب انَّ ذلك امر تنذهل منهُ العقول · فان صورة القمر في البورة الرئيسة (اي في مركز الاشعة الاخص) سيبلغ قطر دائرتها ٦٠ سنتيمترًا · وهذا كما لا يخفى يفوق كل ما ابتدعهُ الفلكيون سابقًا · واذا

اتخذت عدسية تكبّر الصور النورية عشر مرات فتظهر صورة القمر لعين الراصد ٦٠٠٠ مرة اعظم من الصورة الاولى. والحاصل ان المراقب سيرى القمر كانهُ على بعد ٦٥ كيلومترًا (لا على مسافة متر كما زعم البعض). وبناء على ذلك اذا فُرض ان سفينة من السفن المظيمة التي نراها يوميًا في مياه البحر المتوسط انتقلت من كرتنا الى وجه القمر فيتمكن الناظر من مشاهدة صورتها في النظارة على كِبَر مليمتر. وقس على ذلك سائر الاجرام التي يبلغ طولها ١٣٠ م. الا ان العلماء حسبوا ان قوة النظارة البارسية ستفوق هذا العدد فيمكنها ان تكبّر الصور الى حد ١٠,٠٠٠ مرة. فتأمل

امَّا ثمن هذه الآلة الفريدة فلا يُعرف بالتدقيق الا عند نجاز عملها ويُظنّ انها تساوي ١,٤٠٠,٠٠٠ فرنك

قد قيل ان باريس هي بابل جديدة. فاذا كان لا يخلو هذا القول من بعض الصحة فماذا يكون انذهال الفلكيين البابليين المشهورين في التواريخ القديمة لو نشر الله بقدرته رممهم لحضروا معمل بابل الحالية ليراقبوا الآثار الجوية والظواهر العلوية بواسطة النظارة البارسية . . . . .

نسأل الله تعالى ان يفتح لعلماء الهيئة ليس فقط كنوز الاسرار الفلكية الفانية بل ايضًا ابواب الحقائق السماوية الابدية

٣ كرة عظيمة

اخبرت مجلة « الطبيعة » الفرنسية ان انكليزيًا اسمهُ رودبون جنستون عزم على عمل كرة عظيمة تمثل كرة الارض فعهد تتميم صنعها بعرضها في لندن

سيبلغ قطر دائرة هذه الكرة نحو ٢٥ مترًا و٢٥ س. وبناء على ذلك فكل كيلومتر حقيقي يكون طولهُ في الكرة مليمترين. وتسهيلًا لمشاهدة هذا العمل البهي سيبني السيو جنستون شُرْفة واسعة بشكل البرغي يرتقي الزوّار الى رأسها بواسطة آلة مُرقية. فاذا تولوا بهدوء من ذروة الشرفة يتمكنون من تدقيق النظر في جميع جهات الكرة فيلاحظون تفاصيلها وخصائصها قاطبة

امَّا المدن المعتبرة فينظرونها على سبعة اشكال متفاوتة من حيث الاتساع فكل مدينة يكون عدد سكانها ٥٠٠٠ نفس سترى على هيئة دائرة بكبر زرّ القميص وكل

مدينة عظيمة كلندن مثلاً سترسم على وجه الكرة بصورة قدرها دائرة المجيدي

ثم ان الاراضي والابحر والانهار والبحيرات والجبال والسهول والغابات والصحارى والطرق حتى طرق السكك الحديدية فكل ذلك سيعبَّر عنهُ بالوان مختلفة يشبه كل واحد منها لون الشيء المعبَّر عنهُ. امَّا البحور العظيمة كالاوقيانوس فستدلّ الكرةُ على كلٍ من مجاريها البحريَّة وجهات الرياح الاكثر هبوباً عليها ودرجات حرارتها ومقدار الملح الموجود في مياهها وعمقها وكيفية سطحها ودرجة الضغط الجوي عليها وتقلُّبات الابرة

وجلّ ما يقصد المسير جنستون من بناء هذه الكرة العجيبة تنشيط الخاصة والعامة على درس الجغرافية ومواصلة المساعي في الابحاث العلمية المؤدية الى اتقان معرفة الكرة الارضيَّة التي جعلها الله تعالى مسكناً للآدميين ومصنعاً لاشغالهم اليومية وسلَّماً يرتقون به الى الافلاك العلويَّة حيث يكون السكون ثابتاً والفرح دائماً. فنتمنَّى لهذا العلاَّمة النجاح التامّ في هذا المشروع الخطير

مقالة

في اهمّيَّة جمع خواصّ الكلام الدارج

وبعض اشارات الى الطريقة الواجب اتخاذها في ذلك

للدكتور مرتين هرتمن مدرّس اللغات الشرقية في برلين

قال المؤلف انَّ هذه المقالة نتيجة ما جرى البحث فيهِ بيننا وبين صديقنا الدكتور جورج كمْبفْماير الذي جعل جُلّ قصدهِ الوقوف على اللهجات العربية وقد ألقى خطاباً في هذه المسألة امام اعضاء مؤتمر المستشرقين بباريس في السنة الماضية ونشكر جنابهُ على الملاحظات التي ابداها لنا في هذا الصدد فاتحفنا بها

لا يُخفى انّ ألسنة البشر تختلف على اختلاف الازمنة والامكنة ولا يُستثنى اللسان العربيّ من هذا الحكم فترى مثلاً اهل مرّاكش يتكلَّمون بلغة غير لغة اهل الشام وهلمَّ جرًّا. هذا فضلاً من اختلاف لهجة اهل البدو والحضَر

امَّا اللغة الشائعة بين العامَّة في ما سلَف من الزمان فلا نكاد نعرف منها الَّا الشيء

النزر لانَّ الكتبة الاقدمين لم يودعوها في بطون الاوراق وكانوا اذا حاولوا الكتابة عمدوا الى لغةٍ صناعية لا تفهمها العامَّة يضمّنونها الفاظاً لغويَّة وتراكيب وضعية واصطلاحات مُبتَدَعة نقلوها بالترجمة عن كتب اجنبية. وربَّما قلّدوا تعابير اللسان المترجَم عنهُ على طريقة مغايرة لروح اللسان العربي. فكانت نتيجة صنيعهم انَّ ما بقي من اللغة العربية القديمة في كلام الجمهور اخذتهُ يد الضياع فَفُقِد منهُ ما شاء الله

هذا ونشكرهُ تعالى على انَّ قسماً من هذه اللهجة القديمة لا يزال الناس حتى يومنا يتداولونهُ بينهم. فاجتهد بعض المستشرقين في درس هذا اللسان الدارج وجمع خواصهِ والمقابلة بين فروعهِ المختلفة نخصُّ منهم بالذكر وتستَين (Wetzstein) وشتُومه (Stumme) وسبِتَّا (Spitta) ولهم في ذلك تآليف حسنة

وان سألتَ تُرى ما الفائدة من معرفة خواصّ كلام العامَّة. اجبتُ انَّ لذلك فوائد عديدة منها انَّها تنبئنا باختلاف لغات القبائل العربية التي تعدّت حدود جزيرة العرب فاستولت على ما حولها من بلاد الروم والعجم. ولم يكن اختلاف هذه اللهجات يسيرًا لاسيَّما قبل ظهور القرآن وانتشار الدين الاسلامي فان الاسلام لم يجمع فقط القبائل برباط الوحدة بل وافق ايضاً بين هذه اللهجات الخاصَّة ووحَّدها. ومع ذلك فقد نقل العلاَّمة السيوطي (١ عن ابي حاتم السجستاني انَّ في القرآن آثار سبع لغات وهي لغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر. ولا شكَّ انَّ توحيد تلك اللغات كان من اقوى الوسائل لتعزيز الاسلام ونفوذهِ في قسم كبير من العالم. بيد انَّهُ أدَّى الى فقد كثير من خواصّ اللغات المستعملة في الجاهليّة بل أثَّر في رواية الشعر القديم فان بعض الرواة بدلوا ما رأوهُ مخالفاً لعقائدهم الدينية وربَّما غيَّروا شيئاً من لُغة الشعراء الاقدمين (٢ وزادوا على قصائدهم

١) راجع كتاب الاتقان طبعة مصر ١٢٧٨ ج ١ ص ٥٩

٢) وقد ابقوا في بعض الاحيان ما اعتبروهُ كلهجة غير عربيَّة لضرورة القافية واصلحوا ما امكنهم اصلاحهُ فرووا مثلًا هذا الرجز :

يا ابن الزُّبير طالما عَصَيْكا وطالما عَنَيْتَنا إِلَيكا
لَتُحزَنَنْ بالذي اتَيكا

(راجع كتاب انساب الاشراف للبلاذري (طبع آلوَرْت ص ٤٨) وتاريخ ابن الاثير (٤: ٢٨٦ طبع تورنبرج). وقد ذكر هذه الايات نولدكه في نبذة نشرها في مجلّة الجمعية

ايانا نحلوهم اياها. ولهذا السبب قلَّ ما ترى في الشعر القديم مما يشذّ عن اللغة الاعتياديَّة. وزد على ذلك انَّ كثيرًا من دواوين قبائل البادية (١ التي عُني بجمعها بعض النحاة المتقدّمين درست آثارها فنُقدت. وقليلٌ ما صبر منها على الزمان كديوان الهُذَليين ليس هو بأنموذج كافٍ لتعريف خواصّ هذه اللغات واكثرهُ قد بلغنا في اللغة الماديَّة المألوفة

هذا وانّنا نرى لبعض النحويّين القدماء كتبًا جمعوا فيها ما وجدوهُ في الدواوين من الغرائب ووضعوا لذلك تآليف وسمّوها باسم النوادر ككتاب نوادر ابي زيد الذي نشرتهُ حديثًا المطبعة الكاثوليكية

اما كلام العامَّة في القرون المتوسّطة فقد بقي لنا منهُ آثار في بعض اساليب القريض تغافل عنها أُدباء المشرق والمغرب فلم يكترث بها الَّا من ندر. لانهم لم يروها اهلًا لحفظ مع ما وجدوهُ بين ايديهم من الكتب «الفصيحة» والتآليف «البليغة العلمية». على انَّ بعضها مع سذاجة ألفاظها وخلوّها من التصنُّع تفوق كثيرًا تلك القصائد التي تُنمّت «بالدُرَر النفيسة» واذا انتقدها أُولو الذوق السليم واصحاب المعرفة بالكلام وجدوها ركيكة الالفاظ سخيفة المعاني يغلب عليها التصنُّع وتشوّهها السرقات المذمومة

ومما بلغنا في اللهجة العاميَّة من الكلام المنظوم الزَّجل. الَّا انَّهُ لم يتقيَّد ككتبيَّة البحور العربية بتفاعيل صناعية معلومة بل يتصرَّف فيهِ قائلهُ كيف يشاء مع مراعاة الايقاع والنَّغم. وقد حاز قصب السبق في تقصيد الزَّجل شاعرٌ اندلسيّ ذو قريحة غزيرة يدعى ابا بكر محمَّد بن عبد الملك بن قزمان المتوفى سنة ٥٥٥ للهجرة (١١٦٠م) (٢. ومن عجيب الامور انهُ لم يبقَ من ديوانهِ النفيس الَّا نسخة واحدة (٣ مصونة في المتحف الاسيوي في

الالمانيَّة الشرقيَّة (٣٨: ٤١٢) – ولا نشكُّ انَّ من قال «عصيكا وانيكا» بدلًا من «عصيتَ واتيتَ» قال ايضًا «عَنَيكُنا» الَّا انَّ الرواة غيّروا حيث لم تفهم الثانية

١) قد بحث كولدتسيهر المستشرق الشهير عن هذه الدواوين بحثًا مستوفيًا في نُبذت طُبعت في مجلة Journal of the R. As. Society, *April*, 1897 وعنوانها «Notes of the Diwans of the Arabic Tribes»

٢) راجع ذيل القواميس العربيَّة للعلّامة دوزي (Dozy) في مادَّة «زجل» – وكتاب وصف الكتب الخطيَّة العربيَّة المحفوظة في خزانة كتب المتحف الاسيوي في بطرسبرج للعلّامة رُوزن ص ٢٦٢

٣) وما هو جدير بالاعتبار انَّ الفضل بحفظ هذه النسخة الوحيدة لاحد السوريين اسمهُ

بطرسبرج مع كثرة ما جُمع في المكاتب الشرقية والغربية من الكتب والدواوين. وقد سعى بطبع هذا الديوان احد المستشرقين الروسيين ورسمهُ بالرسم الفوتغرافي

ولا بُدَّ في ايامنا من اتخاذ الوسائل المؤدّية الى الغاية المطلوبة اعني التعمّق في خواصّ الكلام الدارج مع ما فيهِ من الفوائد التي ألمعنا بذكرها آنفاً. وقد بحث الاوربيّون عن هذه الوسائل بحثاً مدقّقاً واتخذوها كدستور يرجعون اليهِ في هذا الامر. وهاك الطريقة التي ألِفها اليوم اهلِ المانية لجمع خواصّ اللغات الدارجة. فانَّ الحكومة الالمانية تتولّى على نفقتها الخاصّة طبع « اطلس لغويّ » تُنشَر فيهِ كلّ الكلمات والعبارات العامّية وقد نظّمت لذلك لجنةً تقوم بهذا المشروع فيعرض اعضاؤها الاسئلة على اهل كل مدينة او قرية مَّن يوثق بعلمهم فلا تلبث ان تتوارد اليهم الاجوبة أُلوفاً أُلوفاً فيجمعونها ويعملون فيها النظر ويسمون بترتيبها ثمَّ يطبعون خُلاصتها وهو مسلكٌ نعماً يُؤدّي بصاحبهِ الى احسن النتائج ولا بُدَّ من سلوكهِ ايضاً في البحث عن اللهجات العربية

الَّا اننا نعلم كم يحول دون اتمام هذا المشروع من الموانع في بلاد الشرق اوَّلها ان الشرقيين لا يكترثون لمثل هذه الابحاث وقلَّما يقفون على اهميّتها التاريخية. وربَّما قال قائل انَّ غاية ما يحصل عليهِ الباحث من هذه المسائل جمع بعض فقرات نثريَّة لا اعتبار لها. فنجيب انَّ هذه الشَّذرات اذا ما جمعت برويَّة وعُرِضت على محكّ الانتقاد بطريقة علمية صار لها مقام رفيع ورونق غريب بحيث نحصل بواسطتها على اعتبارات عمومية تشخص لنا على اسلوب بديع صورة تاريخ اللغة العربية. واذا لم تدرك هذه الصورةُ كمالها في بادئ الامر فانَّها ولا حرَجَ تتحسَّن مع الايام فتزيد وضوحاً وبهاء الى ان نُصيب قسماً وافياً من آداب اللغة العربية القديمة بتتبُّع آثارها المتفرّقة على ألسنة العامَّة

امَّا المانع الثاني فهو انَّ الكتابة العربية قاصرة عن تصوير بعض الفاظ العامَّة ولا تفي حروفها الثمانية والعشرون برسم اصوات(١ تجري في لهجة القوم. وكفى بذلك مثلاً ما ورد

محمد بن ابي بكر القطّان استكتب هذا الديوان لنفسهِ بصنَعَد المحروسة (كما يؤخذ من وجه الصحيفة ٩٦). امَّا تاريخ الديوان فليس بواضح الَّا انَّ المرجّح انَّهُ كُتِب سنة ٦٠٦ هـ

١) لنا الامل ان نفيد القرَّاء خلاصة التحقيقات الجارية الآن بين العلماء بشان علم الاصوات وحقيقة النطق بها (La Phonétique)

في هذه المجلّة بخصوص لفظ الجيم وقد كتب فيها مقالتان عن لفظ هذا الحرف (راجع العددين الثالث والحادي عشر)

فيتّضح من هذه المباحث انّ لفظ الجيم لا يزال فيه اختلاف عظيم بين من ينطقون بالضّاد. والضاد نفسهُ كم طرأت عليه من الطوارئ فتقلب حيناً لفظ الظاء وحيناً خضع لهُ وربّما تصرّف العرب بكلا الحرفين فنطقوا بهما على صورة منافية لكلّ ما نعهدهُ من لفظهما. وقس على ذلك غيرها من الحروف

امّا الحركات فلا حاجة الى تَعداد اصناف لفظها اذ لا يُخفى على احدٍ انّ ما يتلفّظ بهِ العامّة من الحركات لا ينحصر فيما يُعبّر بهِ عند النحاة بالفتح والكسر والضمّ فانّ لكلّ من هذه الحركات الثلاث طبقاتٍ شتّى ولكل طبقة درجاتٌ لا تُحصَى. فاعتبر مثلاً الفتحة الواقعة قبل الياء الساكنة نحو «بَيت وشَيخ» فان لفظها في فم الدمشقي او الفلّاح اللبناني او النُصَيري الساكن جبال اللاذقيّة او المَرّاكشي فيختلف ايّ اختلاف فتسمع «بات وبِيت او بُات وبَات وبِيت» (١

فنعلم بعد ذلك انّ دون الحصول على مرغوبنا عوائق كثيرة كادت تخيّب آمال من اجتهد الى اليوم في جمع الفوائد العلميّة التي ننتظرها من درس لهجات العامّة لمعرفة اصول اللغة العربية. ومع هذا فانّنا لا نيأس من نوال المرام لانّنا نعلم انّ لكلّ داء دواء واماً داء فتور الاذهان لاجراء التحقيقات المطلوبة فيزول ان شاء الله بالحثّ والتشويق والاجتهاد في مباراة اصحاب العلم والمغايرة في اكتساب السمعة الطيّبة والشهرة الحسنة. ولا بأس بوضع جوائز ينالها من أتى بأحسن جواب على الاسئلة المقترحة

ولذلك لا بُدَّ من تشكيل جميّات تجمل هذه التحقيقات اللغويّة كمحور اشغالها وتنشر نتيجة اعمالها في جرائد معلومة او في مجلّاتٍ خصوصية تصدر كلّما حصلت على المادة الكافية. امّا الخلل المتأتّى عن قلّة علامات الحروف والحركات لتمثيل الاصوات واللهجة فينبغي سدّهُ بوضع اشارات اصطلاحيّة يتّفق عليها أولو البحث واعضاء الجمعية تؤلف من أناس ذوي ادراك وغزارة فهم يمتازون بالذهن الثاقب وكثرة الاطّلاع على عوائد

---

١) راجع نبذةً نشرناها في الجزء الرابع عشر من مجلة ZDPV «Der Liwa el-Ladkije und die Nahije Urdu»

الاوربيّين واساليبهم في هذه الابحاث ولا بُدَّ من بعض علماء اللغة العربية ممّن لهم المعرفة التامّة باطباع مواطنيهم

هذا وان قال قائل متى تخرج هذه النوايا الحسنة الى حيز الوجود مع كثرة العقبات التي ستعترض هذا المشروع لاسيَّما في بلاد الشرق حيث تجري الاشغال في الغالب بالهدوء والتأني. أجبنا انَّ الامر يقتضي التروّي فلا بُدَّ لهُ من وقت مُناسب الَّا انَّهُ لا يجوز فيهِ التواني لاسيَّما انهُ من الامور التي يمكن لكثيرين المباشرة بهِ دون مشقَّة كبيرة بشرط ان يكون مجتهدًا مدقّقًا صادقًا في روايتهِ. وهذا الميدان لا يطلب ممن اراد السباق فيهِ استعدادًا خصوصيًّا او تمرينًا طويلًا وانَّما يكفي ان يُجمع الكلمات والجُمل التي يأتي بها العامّة في معانٍ معيَّنة وتُرسَم بحروف وحركات من شأنها ان تقلّد لفظ الجمهور ما امكن وفي غير ذلك تُتّخذ العلامات الاعتياديَّة كما ترى في الجدول الآتي الذي اوردناهُ هنا على طريقة المثل:

الفصيح	لهجة بيروت	لهجة القاهرة	لهجة تونس (المدنة)
هذا الوقت	هَلّق	دِلْوَقت	تَوًّا
هُنا	هَوْن	هَنَهْ	هُونِي
متأخّرًا	لَعْيس	وَخْرِي	مْتَوَخَّر
باكرًا	بَكّير	بَدْرِي	بَكْرِي
كيفَ حالكَ	كَيْفْ حالَكْ	زَيَكْ	كِيفْ حَالِكْ
ما هذا	شُو هَيْدَ	دِأَيْهِ	أَشْنُو هاذَا
ما آسمكَ	شُو إسمَك	إسْمَكْ أَيْه	يِسْمَكْ
لِمَ ضَرَبْتَهُ	لَيشْ ضَرَبْتُو	ضَرَبْتُو لَيْه	عَلاش ضَرَبْتُو
مِثْل	مِثْلْ	زَيّ	كِيفْ
أكتُبُ	بكْتُبْ	بَكْتِب	نِكْتِبْ
نَكتُبُ	مْنِكْتُبْ	بِنِكْتِبْ	نِكِتْبُو

١) بناء على ملتمسنا قد حرَّر هذا العمود صديقنا الدكتور ستومه الذي هو ممتاز بمعرفة لهجات افريقية الشمالية

الفصيح	لهجة بيروت	لهجة القاهرة	لهجة تونس (المدينة)
أوْ	يَا	وِلَا	وَلَا
رِجْل	إجر	رِجْل	رَژْل
هكذا	هَيْكْ	كِدَ	هَكّا
لأجل	من شأنْ	على شأنْ	عَلَى خَاطَرْ
مَتَى	أيمتَى	إمتَ	وَقتَاش
بَقِيَ دامَ ظَلّ	دَمْ تَمْ ضَلْ	دَنَ	بقَا
نَحنُ	نِحنْ . نِحنَا	أحنَ	أَحنَا
لا أقدِرُ	ما فيني	ما فِي	ما نَنْژَمْ شي
هُمْ	هِنْ	هُمْ . هُمَّا	هُومَا
رَجُل	رِجَّالْ	راجِل	رَاژِلْ
أيّ جِنْس	أَيْنَا جِنْسْ	أَنهْ جِنْسْ	آنَ ژِنْسْ
أيّة جِهة	أَيْنَا جِهَة	أنه جِهَة	آنَ ژِهَة
لا يَضُرّ	ما بيسايل	ما عَلَيشْ	ما بَسَالشْ

فيتضح من هذا الجدول ما يوجد من الاختلاف بين لهجات بعض المدن الكبيرة من البلاد العربية. غير انّ في ذلك نظرًا لانّ ما يُعزى الى الشام لا يصدق في جميع انحائها فانّ «شو اسمك» مثلًا وان كانت لهجة شاميّة ألّا انّها لا تعمّ كلّ بلاد الشام فتسمع اللبناني يقول بدلًا عنها «أيش اسمك» ومثل هذا كثير. وما يستحقّ النظر هو تعيين الحدود التي تجري بها بعض العبارات ولعلّك تجد بين كلام ضيعة وضيعة اخرى مجاورة لها اختلافًا كليًّا. وبعكس ذلك ربّما ترى اختلافًا جزئيًّا فقط بين ضيعتين بعيدتين. وما ذاك ألا لانّ الضيعتين الأوليَين تدخلان في دائرة لهجة واحدة بخلاف الأخرَيين (١ وكلّ ذلك

١) ودونك بعض امثلةٍ من شأنها ان توضح مرادنا نأخذها من لغة بلاد الشام فنقول: انّهُ لامر مقرَّر ان اهل بعض نواحي لبنان يلفظون الذال المعجمة في كلمة «اذا» دالًا مهملة فيقولون «إدَا» . والاغرب انّ بعضهم يبدلون هذه الذال لامًا فيقولون «إلَا» (وقد نكر البعض ان «إلا» بمعنى «إذا») ثمّ انّهم يعبّرون في بعض النواحي عن «حينما» مع المضارع بقولهم «لَمَّا» او «لَمَّن» – ومنهم من يعبر عن «نحو» بمعنى جهة بقولهِ «بَمّ» وغيرهم بكلمة «صَوب» –

سيتبيَّن جلياً اذا توفَّرت الموادّ التي لنا الأمل الوطيد بقبولها من كلّ من لهُ رغبةٌ في تحقيق الغاية الجليلة التي نتوخَّاها واحراز الفوائد التاريخية التي نتمنَّاها

هذا وأنَّنا نخشى من تشتُّت الامر وذهاب المساعي سدًى ان لم يكن سَير العملة على منهاج واحد. فمن ثمَّ لا بُدَّ ان تُحشد الموادّ في نقطة واحدة (١ تكون كخزانة يؤخذ منها ما هو اهل بالنشر

امَّا الخطَّة الواجب اتخاذها في جمع أمثلةٍ لهجة من اللهجات فهناك بعض اشارات تدلُّ عليها. واوَّلها يرجع الى اختلاف القوم الذين تؤخذ منهم هذه الالفاظ والتعابير فأنَّهُ لا يكفي ان يكتب الباحث كلَّ ما سمعهُ في بلدةٍ ما بدون تمييز كأنَّهُ وقف بذلك على هيئة لهجتها الحقيقية فان اهالي البلدة الواحدة على طبقات مختلفة من حيث الحالة الاجتماعية ومن جهة الأصل والمنشأ. فلا يُعتبر مثلاً كلام من كان نزيلاً في بلدة ومنشأهُ في بلدة أخرى لانَّ لهجتهُ لهجة وطنهِ او لهجة مختلطة (٢ وكذلك لا يعبأ بلهجة بعض المتوطنين الذين

وقد سُمع من بعض اهل الشام « انكو » بمعنى « انتم » — ومن غريب ما روي عن البعض انَّهم يقولون في اسمهِ سبحانهُ وتعالى « أمأ ». الَّا انَّ هذه المرويَّات لا نعلم قدر امتدادها ولعلَّها محصورة في بعض القرى فقط فلذلك ردنا ان نحصل على الخبر اليقين يفيدنا عنهُ اهل النواحي التي جرى فيها مثل هذه اللهجات

١) ان مؤلف هذه المقالة مستعدّ لقبول كلّ الافادات وحفظ الموادّ ونشرها مع التدقيق في تعريف اسماء الذين ورد منهم شيء من هذه الملاحظات. ومن اراد ان يراسلنا بهذا الخصوص او يفيد شيئاً مما عندهُ فليرسلهُ الينا رأساً بهذا العنوان

"Professor M. Hartmann, Charlottenburg—Berlin, Schillerstrasse, 7"

او يبلِّغ ذلك الينا عن يد الخواجا جرجي افندي سرسق ترجمان قنصلاتو دولة المانية في بيروت

٢) يخرج من ذلك لهجة بعض البلاد حيث كثر النزلاء ونشأت بينهم لهجة خصوصية توافَقَ عليها الجميع وتراضوا بها

واحسن شاهد على ذلك لهجة ممالك اميركة الشمالية المتحدة الانكليزية فانَّهُ لها خصوصيَّات لا توجد في احدى اللهجات الانكليزية التي سواها فتجت لهجة خاصَّة تركَّبت من لهجاتهم القديمة. ويصدق ذلك في سكان بيروت فان اهاليها الآن سوادهم الاعظم نزلاء اصلهم من دمشق الشام وقرى لبنان وغير ذلك من بلاد سورية وكانَّهم اتفقوا على لغةٍ فيها شيء من الصناعة ومع ذلك غلبت هذه اللغة لغة القوم الاصليين اللهمَّ الَّا في بعض الاحوال ولا شكّ في ازدياد نفوذها ولا بأس بذلك حيث فيها نقاوة وطلاوة وروح عصر التقدُّم ولا يُنكر ان بعضهم زادوا في تزيين الكلام وتهجيهِ فيأتون بنوادر لغوية ونحوية توجب الضحك

تضطرّهم وظيفتهم الى استعمال كلام منقّح فانّ القاضي والخطيب والمدرّس كثيرًا ما يتأنّقون في حديثهم ويأنفون كلام العامّة السوقيّ فلا يفيدون شيئًا الامر المرغوب (١ واما لهجة العامّة فلا بدّ ان يُستَنَد في ايرادها الى لهجة الاصاغر والاسافل لاسيما الشيوخ والعجائز الذين لم يبارحوا بلدتهم ولا عاشروا الاجانب والنزلاء فبقي كلامهم على ما كان

وما قيل في البلدان يصدق في حارات المدن الكبيرة كدمشق الشأم وبيروت والقاهرة واغرب ما ذُكر في هذا الباب هو انهُ في الزمان السابق (اي قبل السنة الستين) كانت عائلة بيت التيَّان من اشهر العيال المارونية في بيروت قيل ان عدد اعضائها بلغ ثلثمائة نفس وكانت عظيمة الثروة كثيرة النفوذ وهي تسكن وحدها حارةً في وسط المدينة العتيقة وكان اعضاؤها معروفين بالألفة وكثرة الاتفاق قلّما يختلطون بغيرهم الّا اذا اضطرّتهم اشغالهم الى ذلك وكانت نساء هذه العائلة واولادها يعيشون زمنًا طويلًا في بيوتهم لا ينظرون شيئًا من العالم فتشكّلت لهم لغة خصوصيَّة عُرِفوا بها فسمّوها لغة تيّانية (٢

ومن الاشارات التي نستلفت انظار اهل البحث اليها ان ينظروا الى تعدّد المواد يعني ان لا يكتفوا بجمع كلام من جنسٍ واحد او موضوعٍ واحد ولا يقتصروا على بعض اقسام الكلام التي لا يتمّ معناها بل يختاروا ما تظهر بهِ هيئة الكلام باقسامه المختلفة وهذا باب واسع ولا بُدّ من الامثلة وفي نيّتنا ان ننشر اسئلة مطبوعة يكتب الباحث جوابها بجانبها تسهيلًا فيعرف بذلك ما فيهِ خطارة واهمية علمية والآن نكتفي بالاشارة العمومية ونلتمس من قرّاء هذه الاسطر ان لا يؤخّروا الإقدام الى هذا العمل حتى يتسنّى لنا احضار هذه الاوراق المطبوعة بل ان يبادروهُ بدون ابطاء فيُرسلوا الافادات الى العنوان الذي اشرنا اليه سابقًا ولهم الفضل

١) غير انهُ لا يمتنع ان يوجد بين هؤلاء ملَكة طبيعية لادراك خواصّ لهجة القوم وكثيرًا ما يدركون حسًّا ما الفرق بين لهجتهم الخاصة وكلام العامّة. فانّ مثل هؤلاء لاسيّما اذا كانوا من ارباب الدين واصحاب التعقّل قادرون على انجاز هذا المشروع ويُفضَّلون على غيرهم

٢) حين اقامتنا في بيروت لم نسمع مُفرداتٍ لهذه اللغة فكانت حالة العائلة المذكورة تغيرت مع تغيّر الاحوال وشبّانها وفتياتها كلهم متخرّجون بالآداب والدروس الجديدة ولعلهُ حُفظ شيء من ذلك الكلام القديم عند بعضهم فنرجو الافادة عنهُ لان مثلهُ مَثَلُ غيرهِ مما يكون من التغيرات اللغوية الناشئة عن انحصار القوم في دائرةٍ لا يخرجون عنها

تعليم اصول الشرب

للخواجا ج. عون ابي عرب

هذا موضوعٌ لربما يجلب الضحك والسخرية على الباحث فيهِ. وبداهةً يقال ان الشرب يتعلَّمهُ الرضيع من ثدي امّهِ ولا يجهل احد من البشر اصول الشرب او كيفيَّتهُ حتى الحيوانات العُجم فالطبيعة ترشدها اليهِ عند مسيس الحاجة

فترَّبث يا صاح وانا ابيّن لك ان اكثر الناس يجهلون اصول الشرب وقواعدهُ اذ لكلّ شيء قواعد حتى الشرب. فمنهم من يشرب كثيرًا جدًّا ومنهم قليلًا ومنهم بجزء. ذلك يضعفون قويًا ومنهم يمرضون شديدًا. والحال انهُ لأمر مفيدٌ للغاية معرفة اصول تعليم الشرب بحكمة كما انهُ ضروري معرفة تعليم اصول الاكل

ان اكثر الانزعاجات الطارئة على الانسان زمن الصيف مسبَّبة من الافراط في جرع المبرّدات. ولنتركنَّ الآن البحث عن انواعها العديدة اذ ليس بوسع الكل الوصول اليها باسطين الكلام في كيفية استعمالها على وجه العموم حيث لا غنى للمرء عن بعضها لاسيما الماء وهو من اسباب الحياة

١

هل الاكثار من الشرب يبرد غلة الظمآن ويشفي أوَامهُ ام يجري بهِ الى المضرَّة والعطب ومتى وكيف ينقع الظمآن صداهُ منهُ

اعلم انَّ الشرب عمومًا وخيم العقبى اذا كان الرجل عرقانًا وبصوابٍ ينهى عنهُ معلّمو المدارس تلامذتهم وكذلك يفعل قواد الجيوش بجنودهم. وذلك لمعرفتهم انَّ جرع المشروبات الباردة والجسم يعرق يجلب امرًا مضرًّا وبرسامًا مسبطرًا او نزلة صدرٍ مزعجة. أجل لقد تقرَّر ان جرع الماء البارد كثيرًا ما سبَّب امراضًا قتَّالة ان لم يكن موتًا عاجلًا. ولدى البحث يظهر جليًا ما يطرأ من العلل الناشئة من شرب الماء باردًا عند ما يكون الجسم عرقانًا

فان البرد الذي ينفذ الجسم يدفع دم الاحشاء على سطح الجلد فتجتمع الحرارة في محيط الشكل ويتصبَّب حينئذٍ العرق متهيّجًا بطريق المقابلة فيرشح. وعليهِ فليس العرق الّا فضلة مائيَّة للدم تندفع من مسامّ الجلد فيشعر الانسان حينئذٍ بالحرارة في وجههِ.

ضع ان شئت قطعة من جليد في فيكَ او خذ قدحاً من الماء الكثيرِ البرودة فترى العرَق يتصبَّب على بدنك . فاذا شربت قدحين او ثلاثة تباعاً تظهر لديك النتيجة تماماً ولعلَّك تشعر ببردٍ بعد دقائق قليلة

وان لم تكن الكميَّة المجروعة وافرة جدًّا فالدم بعد فشوِّهِ في الجلد وانتشاره فيه يرجع الى الدخل . وضَعْف حركة خروج الدم ودخولهِ هو بالحقيقة غير مضرّ وغير محذور . ولكن انظر ما عساهُ ان يكون الخطر في خلاف ذلك . فانَّ معدل حرارة الانسان تكون نحوًا من ثمانية وثلاثين درجة . ويزيد أجيج الحرّ في جسمِهِ زمنَ الصيف على قدر خسران الحرارة الحادث عن تبخُّر العرَق . أفلم تختبر مثلًا أنك اذا نقَّطتَ قليلًا من روح الخمر او من الأيثر (أي روح العرَق مع الزاج) اماً على اليد واماً على الجبهة فتشعر حالًا بانفعال البرد . وما هــذا الّا لأنَّ كل مائع لكي يتبخر يستعير الحرارة من الاجسام المكتنفة به . والعرق بعيد من ان يشذَّ عن هذه القــاعدة . فكل غرام يتبخر يبرِّد بنوع حسّي سطح البدن . في الاصول الطبيعية ان مبدأ العَصَب (الذي بهِ الحسّ والحركة ينتشران في الجسم كله) يُدبّر بخُر العرَق وبالتالي خسران الحرارة . فان هذا المبــدأ (اي مبدأ العصب) يغصب البدن ان يتبرَّد باعتبار الحرارة الخارجية وبذلك يبقى جسنا من غير تغيير ملازماً حالةً واحدة من الحرارة البالغة ثمانية وثلاثين درجة كانهُ موقد آلة حسنة التوقيع والترتيب تنظر اليها ابدًا عينُ الوئّاد تبارك الله في اعمالهِ

اما اذا عرَّض الانسان نفسهُ في مجرى الهواء وهو عرقان فتبخُّر العرق لم يكن من ثمَّة ليترتب من مبدإ العصب فقط بل ان الهواء يأخذ من العرَق فيبخِّرهُ بكميةٍ اكثر مما تقتضيه الحال . وينتج من ذلك برٌّ غير طبيعي واذا كان شديدًا يسبب بِرْساماً او نزلة صدر او غيرها والحال ان النتيجة تكون اكثر تأثيرًا على قدر ما يوجد ماء على سطح الجلد بالعرَق المتكاثر . اذًا اذا شرب احد وهو عرقان والماء ينضح من جسمه بكمية وافرة لكان ذلك اعظم سبب للوقوع في القرّ اذا لم يُؤخذ الاحتياط اللازم

وان الضرر لا يتأتّى من كميَّة الماء المجرعة بل ينشأ عن استيلاء الهواء الخــارج على الجسم العرقان بعد الشرب . غير انهُ يزول كلّ ضرر اذا تابع الشاربُ المشيَ عوضاً عن ان يقف عديم الحركة لان الحركة الصادرة في هذه الحالة وهذا الوقت تنتج عن جديد حرارة وعرقاً وبهذه الواسطة يزول كلّ نقص من الحرارة . وبناء عليهِ يمكن عموماً للمسافر او غيره ان

يشرب ماء باردًا او جليدًا دون ادنى ضرر وهو عرقان ايضًا على شريطة متابعة السير او الحركة كما عرفت

فما تقدَّم يظهر انَّ جرع المشروبات الباردة عادةٌ مضرَّة او على الاقلّ غير مستحسنة. وكذلك لا يُستحسن تكرار جرع المشروبات الباردة في وقت الشرب كما في تدريبات طلبة المدارس مثلًا وسير الجيوش وغيرهم فالاوفق والانسب وجوب منعهما في اكثر الظروف. لاننا كما قلنا الآن جرع المشروب باردًا يجلب الى خارج البدن ازدحامًا عظيمًا من الحرارة. والحال ان الحرارة والقوَّة هما كما لا يخفى على مطالعي علم الطبيعيات الحديثة مترادفان او هما اسمان لمسمًّى واحد. فجلب الحرارة الى خارج البدن ما هو الَّا تضيعة. فكلّ قدح ماء مجروع تسلبنا كمية من القوَّة تصدر عن جسمنا تدريجًا من مسامّه. ولهذا يشعر من يُكثر الشربَ بعد قطع مسافة قليلة بانَّ ركابهم متقطِّعة فيضنكهم التعب

فيجب اذًا على الرؤساء ان ينبّهوا المرؤسين بان الشرب بزيادة يضعف الجسم لاسيما الاعصاب. فانها اقرب كثيرًا لاكتساب الامراض الحالية. وبالاكثار من الشرب يرى الانسان ذاتهُ عرضةً لامراض عديدة ايَّام الصيف

٢

ولزيادة الاقناع بذلك لنا برهان آخر وهو: ان كثرة الشرب لا تروي فضلًا عن انها مضرَّة فاذا زاد الشرب زاد ايضًا العطش. والسبب لذلك بسيط فانَّ الدم مركَّب من مائع (مصل) فيهِ موادّ لطيفة جامدة تدعى كُرَيَّات حمراء او دمويَّة وكُرَيَّات بيضاء او مائية وفي كلّ ملمتر مربَّع من الدم ترى خمسة ملايين من الكُرَيَّات الحمراء. بمقابلة خمسة آلاف من المائية. فعند اشتعال لظى الحرّ او رقَّة العرق تندفع من مسامّ الجلد فضلات الدم المائية فيفقد الدم من ثمَّ جزءًا من اجزائهِ ويحصل من جرَّاء ذلك الم يحدث في الحلق وهو العطش. فيطلب حينئذ الدم حقَّهُ المهضوم ولا يهدأ ثائرهُ حتى يعتاض ما فقد. والحال ان ما يخسر الانسان في يوم شديد الحرّ من العرق اكثر ممَّا يمكن كسبهُ من المائع المجروع اذ انهُ احيانًا يخسر بمدَّة ساعة ليبرين او ثلاثًا (نحو خمساية غرام) من العرق. وان قال قائل انهُ لا شيء يمنع شرب كميَّة من الماء او غيرها توازن العرق او تزيده. أجبنا ان المعدة لا تستطيع ان تتحمَّل براحة كمية من المائع توازن العرق الراشح من

الجسم وتقابله ، وهب ايضاً انهُ يمكنها ذلك لكن هــذا لا يردّ للدم ما خسرهُ لان كثرة المشروبات لا سيما الباردة وهي ثقيلة على المعدة لا تستقرّ بها بل يتبخر قسم منها كما يتبخر قدح ماء ملقيٌّ في دست سخن وقسم آخر يخرج بالبول وهكذا الحـارة من جهة المائع هي اعظم من المكسب . واذ ذلك لا بدّ من وجود بعض النقص عند كلّ قدح ويزيد النقص بقدر ما تكون كمّية الماء المجروعة باردة . فقولنا اذًا ان العطش يزداد بمناسبة شرب المبرّد هو امرٌ واضح اذ ان الكمية المجروعة من المائع المحتوى في الدم تذهب دائمًا متناقصة . ولهذا فالانسان يزداد عطشاً كلّما يشرب وقد تقرّر بذلك لماذا يعطّش الجليد وكذلك المشروبات الباردة بعد ان تسكن العطش موقتاً لا تلبث ان تهيجهُ

٣

فيجب اذًا ان نشرب في غير وقت العرق لئلا نخسر اضعاف ما نكسب ولا يكفينا معرفة هذه الامور معرفة نظرية بل يجب العمل بها لحفظ نظام الصحة . وعليه فاذا كنت عرقانًا فلا تشرب حتى ينشف عرقك لئلاً تفقد بالعرق عند اقلّ حركة كل ما شربتهُ وهو احيانًا يكون ضروريًا لك ولولا ذلك غادر المشروبُ الدمَ سريعًا دون ان ينتفع هذا بهِ

ثم يقتضي ان لا تشرب باردًا كثيرًا حتى لا يهتيج ردّ فعـل الدم في محيط الشكل السيلانات المائية . ويقتضي اخيرًا ان تأكل قليلًا من الموادّ الجامدة كي تضعف تهييج البرد لغشاء المعدة وتنقص العرق دائمًا . في بلادنا الساحلية التي يكثر فيها غالبًا القيظ ترى اكثر الناس يشربون نصف الابريق جرعة واحدة وهم بحالة التعب عرقانين غير مكترثين لخطر العظيم الذي ينشأ عن ذلك . وهذا لا شيء اخطر منهُ كما مرّ . فسبيلنا اذًا ان نشرب إن بالابريق وإن بالقدح جرعة قليلة بعد جرعة عوضاً عن ان نلقي في المعدة كمّية كبيرة من البارد دفعة واحدة لانهُ بهذه الطريقة يجري المائع خفيفًا دون ان يدفع الدمَ الى الجلد وهكذا ترتوي وتنتفع باسهل طريقة

فهذه هي اصول تعليم الشرب الحسنة في فصل الصيف فكم هم قليلون الذين يعرفونها ويقومون بوجبها ولنا برهانٌ على قولنا وهو ضعف الاكثرين في أيّام الصيف فان الحـارة بهم من جهة العرق بعيدة هي من ان تعوّض او تعدل المكسب من جهـة المشروبات المجروعة . فعبثًا اذًا تطلب إخماد عطشك ان لم تنل من ثمّ زيادةً في تقوية الدم وفي محل الكلام كي نشرب شربًا رويًا فلنحذر المشروبات الباردة جدًا ولا نشرب الّا

شربًا جيدًا اي ببطء ولا يكن ذلك دون اكل الّا نادرًا. فلنهرب من مجرى الهواء والسكون بعد الشرب ونحن عَرِقي واذا اشتدّ بك الظمأ فلاطف الألم وأندِ اللُّعاب ولذلك ابتلع حلوًا محمَّضًا او لاعب في فيك يابسًا او حصاة صغيرة ان شئت

وفي مدة السير والنزهات الطويلة انتظر قبل ان تشرب على الاقلّ ربع ساعة حتى يكون العرَق الناتج عن التعب قد نقص كثيرًا. ثمّ اشرب وانتظر ايضًا ربع ساعة أُخرى قبل ان تمشي ثانية. وهكذا ترتوي دون خطر ودون نقصان في القوى. والبدن المرطّب حسنًا يمكنهُ ان يقطع مسافة بعد مسافة وموقعًا بعد آخر دون ان يكلّ وينتهك

فهذه هي نبذة في اصول تعليم شرب الماء في فصل الصيف اهديتها لقرّاء المشرق الفضلاء. كي يفقهوها ان كانوا يجهلونها او يتذكروها اذا كانوا ممن يعرفونها مكرّرًا ما قلنا في صدر كلامنا انها نبذة ظاهرة لا يكشف عن اسرار باطنها. فمن طالعها مدقّقًا يفهمها ويعرف ان المرض يتطلّب خاصةً الاعضاء الضعيفة وان الشرب الكثير بغير نظام يضعف الاعضاء ضعفًا شديدًا. ارشدنا الله الى ما فيه خيرنا اجمعين

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ولم اجد من مناشير زين الدين ابن علي سوى منشور واحد وهو من الملك الناصر محمد ابن قلاوون (١ علامتهُ « الله أملي ». ومن مضمونهِ اعادة زين الدين الى الخدمة الشريفة

---

١) جاء في حاشية الكتاب للمؤلف ما نصّهُ: « ثمّ من بعد كتابة هذه الاوراق وجدتُ منشورًا لزين الدين بن علي المذكور وهو من الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل محمّد سلطان مصر. علامتهُ « ايّوب بن محمد بن ابي بكر بن ايّوب » وتحت العلامة المذكورة « الحمد لله وبهِ توفيقي » وهي بخطّ السلطان المذكور. ومن مضمونهِ انّهُ يُجري لزين الدين الاقطاع بالناحية الغربية والقبليّة بجبل بيروت. وهي: القاطية ومزارعها بعكّين ومزارعها شملال ومزرعتها من البليّة (?) وبتاتر بكمالها وكفرعمّيه ومزرعتها وذلك لما بان من حسن خدمتهِ ومناصحتهِ ومثاغرتهِ ونهضتهِ وكفايتهِ وليسلّم ذلك بقلب منشرح وأمل منفسح وبشرٍ على مناصحتهِ وخدمتهِ وحفظ الثغور

مع خاصّتهِ وطواشيهِ الخمسة. وهو من جملة ما كان باسمهِ من املاكهِ واقطاعهِ وباسم جمال الدين حجّي وولدهِ بحُكم الترامهِ الموانئ والثغور والمناظر المعروفة بهم بساحل بيروت. جهاتهُ من الفريديس من صيداء ثلاثة افدنة وشكارة وقطع ارض بالعمروسية وحصّة الملك بخلدا. وما هو من اقطاعهِ القديم باسمهِ واسم اولادهِ كفرعمّيه بتاثر. وما هو باسم جمال الدين يحيى عين عَنّوب وعيناب. وتاريخ المنشور (٦٩٣) في الرابع من ذي الحجّة سنة ثلاث وتسعين وستمائة (١٢٩٤ م). ولم اقف على غير هذا المنشور

ومن مضمون كتابِ بهبة شكارة والعمروسية من هنتري بن دموتقرب الفرنجي صاحب بيروت (١ وهو أنهُ قد وهب شكارة بدارها عرارة (٢ ينصبها كرمًا بشرط ان لا يبيعها ولا يهبها واذا ما فعل ذلك رجع عن هبتهِ. ومن شروطهِ مساعدتهُ لصحوبيتهِ (٣ وان لا يترك في بلادهِ هاربًا من بلد بيروت الّا ويردّهُ صلحًا او بغيرهِ وان لا يمكّنهُ في الاقامة ازيد من ثمانية أيام ولا يمكن احدًا من بلادهِ يفسد في بلد بيروت (اعني الساحل لان بلد بيروت كانت جبالهُ في ذلك الوقت للمسلمين وكان الساحل للفرنج) وتاريخ هذا الكتاب سنة الف وخمسمائة واثنتين وتسعين للاسكندر (١٢٨٠ م) (٤ وكاتب هذا

المندوب اليها بالناحية الغربية ويجري على ما بيدهِ من الاملاك المستمرة عليهِ وعلى والدهِ من قبلهِ بالغرب وهي بَيْصور ومزارعها عجدليا والدوير وثلث عرامون ومزارعها كدغور (كذا) ومزرعتها البيرة. تاريخهُ في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستمائة (٦٤٨م). وهذا المنشور يتقدَّم ذكرهُ على ذكر المنشور الذي من الملك الناصر محمد بن قلاون

١) لم نقف على شيء من ذكرهِ في كتب الفرنج

٢) كذا في الاصل «عراره» ولم نتبين معناها

٣) لا ندري ماذا يراد بالصحوبية

٤) جاء في ذيل الكتاب ما حرفهُ: «حاشية تُذكَر في الاصل لبَيان مدَّة هذا التاريخ. نحن في هذا العام في آخر سنة الف وسبعمائة وثماني واربعين من التاريخ الرومي (١٦٣٦م) فيكون مضى على كتابة هذا الكتاب مائة واربع وخمسون سنة شمسية روميّةً اعني مائة وثماني وخمسين سنة هلاليّةً عربيّةً وثمانية اشهر تقريبًا. قلتُ وذلك في ثامن سنة من سلطنة الملك الظاهر بيبرس وقبل وفاتهِ بسبع سنين وهذا يدلّ على انّ سجنهم بعد هذا التاريخ. وقد ذكرنا انّ الإفراج عنهم كان في سنة وفاة الملك الظاهر فهذا يدلُّ على انّ سجنهم كان نحو سبع سنين والذي قال انّ سجنهم كان تسع سنين تكلم بجهل والله اعلم»

(نقول) اوّلًا انَّهُ يؤخذ من هذه الحاشية انَّ المؤلف كان عائشًا في سنة ١٧٤٨ لليونان

الكتاب اسمهُ جرج بن يعقوب وكانت القطعة والكتاب في رقّ وفي ادناه خَتم من شمع احمر يمثل خيّالًا بفرسهِ ورمحهِ وترسهِ ودائر الختم كتابة بالفرنجية في اصل الختم

ووقفتُ على خطّ يد لزين الدين بن علي من مضمونهِ انَّهُ قد جعل لابن عمهِ جمال الدين حجّي من الاقطاع الذي اخذهُ لنفسه ولاولادهِ قرية عين درافيل ومزارعها ومزرعة شمشوم بحيث يُقيم جندًا مع اولادهِ وان اختار يُقيم ولدهُ شمس الدين عبدالله ام غيرَهُ. وصدَّق اولاد المذكور على خطّ ابيهم. ثمّ كتب بحتر بن صالح ولدهُ تحت خطّ والدهِ واخوتهِ انَّهُ اعطى جمال الدين (37r) المذكور ايضًا مزرعة مرتعون بكمالها يستعين بها على وقتهِ طالما هي جارية في اقطاعهِ بغير خدمة يكلّفهُ بها (١. وفي اسفل الورقة المذكورة خطّ سعد الدين خضر بن محمَّد يقول انَّهُ قد اعطى اخاهُ جمال الدين حجّي المذكور شكاره وقرطيَّة التي كانت ملكهُ وكتبها في المنشور باسمهِ يستعملها كلما احتاج اليها. وتاريخ خطّ سعد الدين خضر في عاشر ربيع الاول سنة اربع وتسعين وستمائة (١٢٩٥ م)

قلتُ وزين الدين هذا مشهور في البيت بالسيادة والرئاسة مُدح باشعار كثيرة. وكان شجاعًا يُحبُّ اخبار الحروب. ذكروا عنهُ انَّهُ في مدَّة سجنهِ بمصر كتب سيرة عنتر بخطّهِ. وكان بنو ابي الجيش شديدي البغض لهُ وكانوا يكمنون في قلوبهم الحقد والحسد كما ذكرنا وكان سكناهم عندهُ بعرامون. ومن جملة مكايدهم معهُ انَّ احدهم رأى اسدًا قد تطرّق الى بعض الاماكن القريبة فحضر عند زين الدين بن عليّ وقال لهُ: انَّ دبًّا مجاورٌ

وهي توافق سنة ١٤٣٦ للمسيح وسنة ٨٤٠ للهجرة. (ثانيًا) وبذلك يصحُّ ما قلناهُ في العدد السابق من المشرق (ص ٧٦٥) عن زمن المؤلف انَّهُ كان في القرن التاسع للهجرة بخلاف قول الدكتور هرتمن الذي زعم انَّهُ كان في القرن العاشر وانَّ عمرهُ كان تسع سنين في سنة ٩٢٦ هـ (١٥٢٠م). (ثالثًا) قد وهم المؤلف بقولهِ انَّ الكتاب المذكور اعلاه المؤرخ في سنة ١٥٩٢ للاسكندر كُتِب في السنة الثالثة للملك الظاهر بيبرس لانَّ هذا السلطان تولّى السلطنة سنة ٦٥٨ هـ فتكون السنة الثالثة لملكهِ سنة ٦٦١ هـ وهي توافق سنة ١٢٦٢ مسيحيَّة وسنة ١٥٧٣ للاسكندر فيكون المؤلف اذًا غلط بنحو ثلاث عشرة سنة والصواب انَّ هذا الكتاب قد كتب بعد وفاة الملك الظاهر بيبرس

١) قال المؤلف في الحاشية: «وظاهر الحال انَّ جمال الدين حجّي لمَّا استرجع بنو الغرب الاملاك والاقطاع بعد خروجهم في ايام المنصور قلاوون ما تعرَّض الى شيء فجعل المذكورون لهُ هذه الاماكن المذكورة ليستعين بها على ضعف حالهِ»

للسكان الفلاني (يريد مكان الاسد ٠ وكان تمويهُ بالدبّ عن الاسد غروراً بزين الدين وطمعاً ان يحدث لهُ الاسد حادثاً) ٠ فوجّه زين الدين ليلاً الى المكان ولم يصحب معهُ احداً ومعهُ قوسهُ ٠ فاكمن في المكان الذي قيل لهُ عنهُ ٠ فلما مرَّ به الاسد علم انهُ مغرور بالقول الذي قيل لهُ ورمى الاسد بسهم واحد معتمداً على بيت القلب فمات الاسد منهُ ٠ وعاد زين الدين الى منزلهِ ٠ وعند الصبح (37) ارسل الى من اخبرهُ انهُ دبٌ يقول لهُ: اذهب وائتِ بالدبّ الذي قلتَ عنهُ فانهُ مقتول بالمكان الذي ذكرتهُ ٠ قال ذلك متهكماً ٠ وتزوّج زين الدين المذكور صادقة بنت نجم الدين محمّد بن يحيى بن كرامة ابن بحتر(١) وسنة وفاتهِ نقلاً عن خطّ ناصر الدين الحسين نهار الخميس ثامن عشر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وستمائة (١٢٩٦ م)

(واسماء اولاده) ناهض الدين بُحتر وشرف الدين عليّ وبدر الدين يوسف. امّا (عمارتهُ) فاوّل ما عمَّر الحارة التي عند العين بعرامون وهي اوّل العمائر المالية الحسَنة ولم يُبنَ في الغرب بيوت احسن منها ٠ عمَّرها قبل فتوح بيروت ٠ ثم عمَّر القاعة والحمَّام في البستان وبعد ذلك شرع في العمارة برأس عرامون ابتدأ ان يعمّرها كقلعة وجعلها اقبية ونقر البئر في الصخر فلم تكمل حتى توفي ثمَّ جملوها مساكن عمَّرها الله بوجود اهلها (ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب *

للاب اميل رينو اليسوعيّ

الفصل الاوّل

فاضل

مساء الخير يا فاضل

— اسعد الله مساءك يا يوسف

---

١) توفيت صادقة زوجة زين الدين بن عليّ المذكور وهي امّ اولادهِ جميعهم نهار الخميس سادس وعشرين صفر سنة ثلاث وسبعمائة (١٣٠٣) ٠ وصادقة المذكورة اخت زوجة سيف الدين غلاب وهي امّ علم الدين الرمطونيّ

* قد عرّبت هذه القصّة بقلم جناب المعلّم رشيد افندي الشرتونيّ

الفصل الأول — فاضل

— كيف حال صحتك ؟

— بخيرٍ كما ترى

— نشكر الله

— لقد أتيتَ لتصرف معنا السهرة فاهلاً بك وسهلاً · تفضَّل واجلس

فجلس يوسف على الحصيرة وخرج فاضل حتى ينبّه والدته لكي تهيّئ القهوة

وكان فاضل شاباً حسن المنظر له شاربان حالكان مع حاجبين كأنهما القوس وعُنق مستقيم وكتفين عريضتين وساعدين مفتولين وساقين قويتين ولم يكن يجهل القراءة والكتابة والحساب وقد تعلّم اللغة الافرنسية وشيئاً من الانكليزية وكان اهل قريته ينعتونهُ بالعالم · ومع انهُ لم يكن ذا عقلٍ فريد فقد كان من ذوي الخبرة في الاشغال ولا جرم ان هذه الصفة قد ورثها السوريّون عن اجدادهم الفينيقيين · ومع كلّ هذا فقد كان شديد التحمّس في الديانة ممارساً لمقتضياتها فلم يتأخر طول عمرهِ عن حضور القدّاس أيام الآحاد ولا أهمل الاعتراف والتناول في الاعياد الكبرى من السنة · وقد ربّتهُ والدتهُ مريم تربيةً حسنةً مسيحية فكان يحبها ويقدّم لها غاية الاكرام

وقد ضمَّ فاضل المذكور الى هذه الصفات كلها صفةً يعتبرها اهل الدنيا اعظم الاشياء وانفسها فقد كان معدوداً عندهم انهُ ورث عن المرحوم والده غنًى عظيماً وكانوا يتحدثون بذلك فيما بينهم مع ان ظواهر فاضل لم تكن لتدلّ على شيء · مماَّ ذهبت اليهِ اوهامهم · والحقيقة انهُ لم يكن ذا ثروة طائلة بل انهُ كان ميسور الحال ينفق عن سَعَة ومن ايسرت حالهُ وقنع بما عندهُ يعيش لعمر الحقّ عيشةً راضية فلا يرهب تقلّبات الدهر ويكون بنجاة من المعايب والرذائل التي تتولّد عن الميل المتطرّف الى حشد الدرهم

وكان فاضل يفكّر في هذه الامور كلها بينما كان يهيّئ نارجيلته لاجل التدخين بها · فبعد ان بلَّ التنباك وعصرهُ وفركهُ بين راحتيهِ وضعهُ على رأسٍ ذي نقوش ثم تناول ملقطاً واتخذ من كانون امامهُ اربع جمرات صغيرة ونضدها على رأس النارجيلة واخذ يشرب · وغب ان جذب بضعة أنفاس جلس الى جنب يوسف فقدم لهُ طرف النربيج الطويل وكان قد لواهُ عدّة ليّات على القلب فقال :

كيف حالك ؟

— بخير والحمد لله ·

— صحتك جيدة ؟
— تحت انظارك

ولم يعد يُسمع بعد ذلك سوى بقبقة النارجيلة التي كان دخانها الضارب الى الزرقة يتصاعد الى الجوّ

اما الحجرة التي جلس فيها فاضل ويوسف فلم تكن بالكبيرة ولا الصغيرة وكان سقفها من جسور الحور التي علاها الاسوداد قليلاً وفي جدرانها المبيَّضة ثلاثة شبابيك مطلّة على حقل من التوت وتجاويف مصنوعة لاجل تنضيد الفرشات والمسائد واما أرضها فمن الحجر . وكانت الحجرة المذكورة أحسن غرف البيت فكانوا يستعملونها احياناً للرقاد واحياناً يمدّون فيها سُفرة الأكل واوقاتاً يستقبلون فيها الزائرين وفي مساء هذا النهار اختاروها لقضاء السهرة لان اوائل برد الخريف اجبرتهم ان يعدلوا عن الجلوس على السطح حيث كانوا يتسامرون عادة في ايام الصيف ويتأملون الرقيع المزيّن بالنجوم وينظرون الى القمر وضيائه الساطع . وبينما هم كذلك اذا بيوسف تزحزح قليلاً من مكانه فقال :

هذا مارون آتٍ — ثم دخل مارون يتبعهُ رزق الله وابرهيم وعبد الله وجبرائيل

— مساء الخير
— سعدتم مساء
— كيف حال صحتكم ؟
— جيدة بحمد الله
— الشكر للمولى

واذ ذاك اتّكى فاضل على الارض طرف التربيع وذهب يأتي بنارجيلات أُخرى لزائريه وبينما كان مهتماً بتهيئتها دخلت والدته وبين يديها صينيّة عليها فناجين القهوة . وكانت امرأة فاضلة تبلغ من السنّ نحو الخمسين سنة وازيد وقد فجعت بزوجها في مقتبل شبابه فاقبلت وقد صارت وحدها على تربية ولدها فاضل المذكور وشقيقته ولم يكن لها من الاولاد غيرهما . وكانت تحبّ فاضل محبة عظيمة ولا تطيق ان يغيب عنها دقيقة واحدة ولهذا كانت تقلق وتضطرب كلّما ذهب الى احدى القرى القريبة ويزيد اضطرابها اذا اتفق له النزول الى بيروت

فلمّا دخلت وقف الجميع فسلّموا عليها واضعين ايديهم على صدورهم كما هي العادة .

خليتهم بمثل تحيتهم ثم قدّمت الى كل منهم فنجاناً من القهوة وانتظرت حتى يفرغوا من شربهِ

وبينا كانوا يتناولون القهوة ببطء وهم يتحدثون عن امور عديدة بجمل متقطعة اخبرهم يوسف ان موسى وردهُ مبلغ عظيم من الدراهم من ولد لهُ مسافر الى اميركا. فما سمع الحاضرون لفظة دراهم حتى شخصت منهم الاحداق واشرأبت الاعناق وكاد ابرهيم ان يكبَّ القهوة من فنجانه الذي كان قد تناول نصفه. ثم ان عبدالله أكّد لهم الخبر وزاد جبرائيل انهُ التقى بموسى المذكور وكان مُشرق الوجه فرأى معهُ من بعيد قطعة من ورق ابيض ولما دنا منهُ رأى في تلك القطعة حروفاً اجنبية غير انهُ لا هو ولا موسى تمكنّا من قراءتها

واذ ذاك مال الحديث ميلهُ بالمجتمعين في بيت فاضل واندفعوا في الكلام اندفاعاً واخذوا يتحدثون عن هذه البلاد الاميركية البعيدة التي ترزق قاصديها الغنى وتخولهم القناطير من الذهب. ولكن لم يكن احد منهم ليعرف موقعها بل غاية ما يعلمون ان قاصدها يصير غنياً وينسون ان المهاجرين اليها كثيرًا ما يخسرون اموالهم بل كثيرًا ما يفقدون كنوزًا اثمن من الصحة والمال

وكان فاضل قد هاجت الرغبة في قلبه للسفر الى حيث سافر الآخرون من قريتهِ. وكان يقول في نفسهِ: انهم ليسوا باحذق مني وقد اصابوا نجاحاً. فلماذا لا انجح انا ايضاً؟

واعلم ان فاضل مع ما كان متزيناً بهِ من الخلال الحسنة قد كان فيهِ عيب من اكبر المعايب وهو انهُ يحبّ المال الى حد الافراط. ولم يكن هذا الشاب لينتبه الى هذا الامر حتى الانتباه بل كان يسمّيهِ اقتصاداً وحذرًا ويقول: ان الانسان لا يسوغ لهُ ان يكون مبذرًا. الى غير ذلك من الاقوال الدالة على حرصهِ الشديد

فلما جرى بحضوره حديث اميركا وذهبها تأجج الشوق في فؤاده ودَّ لو يكون لهُ جناحان حتى يطير اليها. وبعد ان كان قبلًا يرى نفسهُ في سعادة وغبطة اصبح يشاهد منزلهُ حقيرًا ويحدّث نفسهُ انهُ اذا ذهب الى اميركا يعود منها ويبني بيتاً كبيرًا مسقوفاً بالقرميد كبيت جاره بطرس ايوب. وصارت تتمثل لمخيلتهِ اسباب كثيرة تحثهُ على الرحيل منها انَّ تربية دود القزّ أصبحت لا توفي بتعبها وان الحرير ولا سيما السوري قلّت اثمانه وتصعّب مبيعه في اوربة

وكان فاضل كما سبق الكلام نائلًا من الثروة ما يزيد على الكفاية حتى انهُ كان يُحسب غنيًا ما بين اهالي قريتهِ الذين هم جميعًا من الفقراء . ولكن متى احبَّ الانسان شيئًا يرى كلَّ الاسباب المؤدية اليهِ حسنةً . وبينما كانت كلّ افكارهِ متجهةً الى اميركة وأصبح ولا همٌّ لهُ سوى السفر اليها واجتنا. ذهبها اذ فتح الباب بغتةً دون تنبيهٍ سابقٍ ودخل موسى وفي يدهِ ورقة فقال: « أتعرف القراءة . انظر ما ارسلهُ اليَّ ولدي من سان فرنسيسكو » وحينئذٍ قام الجميع وقوفًا وازدحموا حولهُ واخذوا ينظرون في الورقة ويلمسونها بايديهم . فصاح بهم قائلًا : انها بقيمة خمسمائة فرنك وتسمَّى في عرف التجار « شِك » فالي الا ان اذهب الى بيروت وأقدّمها للبنك فاقبض قيمتها على التمام والكمال أفهمتم ؟

قال هذا ووجههُ يتهلّل فرحًا ويفيض جذلًا وبشرًا . فعطف الكل ابصارهم الى الورقة فما تمكّن احد من قراءتها الّا فاضل فانَّهُ قرأ في رأسها باحرف غليظة لفظتي « مئة دولار » واما الباقي فكان مكتوبًا بالانكليزيَّة . وحينئذٍ بلغ الاندهاش من الحاضرين اقصى مبالغهِ حتى انهم في ذلك المساء قصروا حديثهم على اميركة معدن الغنى ولمَّا تفرَّقوا من السهرة رقد فاضل وهو يفتكر بارض الذهب

فلمَّا طلع الصباح افاق فاضل متقطّب الجبين وتناول ترويقتهُ التي جرت عادتهُ ان يتَّخذها كل يوم من الخبز والزيتون ثم خرج وهو مكتئب ومشغول الفكر . ولاحظت ذلك منهُ والدتهُ مريم فعرفت دون صعوبة علة ابتئاسهِ واضطراب بالهِ . وكانت تحبّ من صميم قلبها ان يصير ولدها غنيًا ولكن من جهة لم تكن تطيق الصبر على فراقهِ ومن جهة أُخرى ما كانت تستطيع ان تصحبهُ في سفر هكذا طويل حتى انها لو استطاعت لمانعها فاضل كلَّ الممانعة ومع ذلك فان وحيدها هذا كان مزمعًا ان يتعرَّض لاخطار كثيرة في اسفارهِ بالبحر وسلوكهِ ببلدان يجهلها (ستأتي البقية)

شذرات

سيارة جديدة

قد اكتشف المسيو شرلوا (Charlois) احد الفلكيين المتولين نظارة مرصد نيس في فرنسة سيارة جديدة الّا انها غاية في الصغر نظيها المكتشف عليها في تلك الكواكب المعدودة في الدرجة الحادية عشرة من حيث الكبر. وقد امتاز مرصدا مدينتي نيس ومرسيلية باكتشافات السيارات ولا غرو فان صفاء السماء في جنوبيّ فرنسة يُساعد على ذلك. ولو حظي الشرق بمثل هذه المعاهد الفلكية لبرز في هذا الميدان واصاب بالسّبق

نبات الالب في باريس

اخذ الطبيعيّ غستون بونيه (Bonnier) اغراساً حديثة من نبات باريس فوضعها ليلًا في آنية ضمّنها جليدًا ذائبًا ثم عرضها في النهار لهواء الجوّ فوجد لها كلّ خواصّ نبات جبال الالب من حيث الكبر والتركيب كأنها غُرست في قمم هذه الجبال التي يبلغ علوها ثلاثة آلاف متر

كتابة الاسماء الجغرافيَّة في اللغة العربيَّة

استلفت المستشرق الشهير نلّينو معلّم العربية في مكتب اللغات الشرقية في نابولي نظرنا لاصلاح ثلاثة اسماء وردت في المشرق (ص ٥٢٨ و ٥٨٠) على غير صورتها فروت هنالك « تلّ امرنا واسنة وبيان الملوك » بدلًا عن تلّ « العمارنة واسنا وبيبان الملوك »

قال الكاتب الاديب: « اني استغنم هذه الفرصة لانّه كثيرين من الشرقيين الذين ينقلون عن اللغات الاوربية الاسماء الجغرافية ولا يتثبّتون صحّة كتابتها فيشوّهونها بسوء النقل واني ان اردت ان اسرد كلّ الاغلاط الواردة في كتب المحدثين المطبوعة في الشرق من هذا القبيل لأدّى بي الكلام الى الاسهاب المملّ. فهاك مثلًا كتابًا طُبع حديثًا في بولاق سنة ١٨٩٣ اسمه « كتاب العرب وآداهم » لجامعَيه ادورد ثانديك وقسطنطين فيليبدس صدَّره المؤلفان بمختصر جغرافيّ في جزيرة العرب فترى اكثر الاسماء الواردة هنالك مشوَّهة ايَّ تشويه لنقلها ايَّاها عن لغات اجنبية دون مراعاة اصلها فيجعلان مثلًا (ص ٦) جزيرة خوريان « كوريان » ومدينة الكُوَيت « قويط » وجبل العارض « الجبل العريض » والقَصيم « القسيم » ووادي حمد « وادي الحمض » والفَلَج « القلّج ». وكذلك شوَّها الاسماء

الاتية (ص ١٣ و ١٤) : « لينة والحاكيّة وأُكيِر وصَمدة وتبالة والمَجمة وظُرما والرَّس وقلعة بيشة ولحَيج ويَرْكا وصُحار وشِناص والظاهرة والبُرَيمَة والمُفهوف وبكيل والجراسم وكمَران » فكتبها كما ترى : « لينا وحنكيّة وعكير وزاده وطباله ومجمع ودراما وراس وقلعة بجا ولهيج وبرقى وزهاد وشناس والضاهرة وبريما والهفوف وبقيل والجوازمي وقران » هذا فضلاً عمّا ورد من اغلاط الطبع كخمار بدلاً عن ذمار

أفلا يمكن لمجلتكم الغرّاء ان تستدرك هذه الآفة بوضع معجم لاسماء البلاد ؟

(نقول) انّ السبب الأوّل لوقوع الاغلاط انّ كثيرًا من الاسماء الجغرافية ليس لها ذكر في كتب العرب الّا نادرًا فيسمعها الشرقيون من الاجانب او يقرأونها في كتبهم فلا يطّلعون على صحّة كتابتها. واحسن الوسائط لاصلاح هذه الاغلاط ان يصير اتفاق بين العلماء المستشرقين على نقل الحروف العربية الى لغاتهم على صورة واحدة لاسيما الحروف الحلقية كالعين والهمزة والحاء والخاء والقاف فترى كل كاتب ينقلها الى لغته على هواهُ فيصوّرها مرّة بحرفٍ واحد ومرّة بحرفين وحينًا بعلامة دون حرف الى آخره ومثل ذلك حرف الحاء فقد رأيناها مصوَّرة باللغات الاوربية على هذه الصور KH, CH, HH, Ḥ, H الخ. فكيف يمكن للشرقي ان يعرف ما المراد بكل هذه الصور المختلفة ؟ . وقس على ذلك غيرها من الحروف. هذا وربَّما نقلها الاجانب فرسموها بحرف عربيّ بيد انّها مغلوطة وهذا كثير فيمن لا يحسنون العربية . فتُنقل عنهم بغلطها . اما وضع معجم عربيّ لاسماء البلدان فذلك غاية ما نتمنّاهُ وان شاء الله سنفرد لذلك قسمًا من هذه المجلّة ل . ش .

التنعنع

ليس احد يجهل وجود هذا النبات العطر في اغلب اقطار العالم وما في احسن استعمالهِ من الفوائد الصحيّة والبيتية. والآن قرأنا في احدى المجلّات العلمية ان اليابانيين يستفيدون من النعنع منذ امد يتوغّل في القدم فيزرعونهُ في حقول واسعة ويستخرجون منهُ عطرًا مائعًا وجامدًا يستخدمونهُ في معالجة انواع الامراض كوجع الاعصاب والسُّعال والزُّكام والإسهال وغيرها من الادواء حتى الجروح ولَذَعات الحشرات والهوامّ. وفي جزائر اليابان لاسيما في ولاية اوزن اكثر من عشرة انواع النعنع. الّا انّ النوع الاغلب الوجود والاستعمال هو نعنع الحقول (Mentha arvensis) ويسمّى باليابانية الحاكّة.

وامّا طريقة زرع النعنع عندهم فعلى غاية السهولة فلا تختلف عن زرع غيره من النبات

الجاني له. ومحصولات هذه المزروعات جديرة بالاعتبار فان حقلًا لا يجاوز سطحهُ عشرًا من الهكتار يمكن ان يحصد منهُ ٣٠٠ كيلوغرام من الاوراق اليابسة

وهنا لا يسعنا السكوت عن تأسفنا على تهامل الشرقيين عن زرع هذا الزهر المفيد والبرّي منهُ كثير في كلّ انحاء فلسطين ومصر والاناضول وبلاد الشام لاسيما جبل لبنان حتى ذروة الصنّين. ونخصّ بالذكر النعنع الاعتيادي المعروف عند علماء الطبيعيات بنعنع الغابات (Mentha sylvestris *L.*) ولهُ في لبنان اشكال عديدة منها M. stenos-tachya *Boiss.* و M. glabrata *Bois.* و M. petiolata *B.* و M. lavandu-lacea *B.* فتجدها في كلّ طبقة من الاراضي والاتربة لاسيما على ضفَّة الانهار والجداول. ومنهُ ايضًا النعنع المسمى المائي (Mentha aquatica *L.*) وهو ينمي بالقرب من السيول وبالخصوص في مجاري الحقول والمروج. وطولهُ اصغر من الاول وزهره على هيئة كرة صغيرة ذو رائحة. واما نعنع الصنّين فعليك ان تطلبهُ في جوار نبع الصنين ونبع اللبن وسائر اماكن لبنان الاعلى وهو دقيق نحيل كسائر نبات الجبال ولون ورقه اخضر خاسف وزهرهُ ابيض ضارب الى الزرقة. وبخلاف الاولين ينبت هذا النعنع في الاراضي اليابسة الكثيرة الحصى ورائحتهُ زكيّة جدًا لا تكاد تمسّ ورقةً من اوراقهِ او زهرةً من ازهارهِ حتى تستنشق رائحة عطره الفائح. وقد سمَّاهُ العلماء (Calamintha origanifolia *Lab.*) لمشابهة هيئة اوراقه لاوراق الصعتر ولهُ فوائد كثيرة لاسيما في امراض الاحشاء والمعدة. الّا ان اهل الشام ولبنان لا يعرفون منفعة هذا النعنع اللهمَّ الّا بعض الفلّاحين منهم

وفضلًا عن تلك الانواع الثلاثة قد شاهدنا في بعض انحاء سوريَّة ولبنان لاسيما في البقاع نوعًا آخر اجنبيًا حديث العهد في الشرق وهو المعروف في بلاد اوربة بالنعنع الفلفل (Mentha piperita). قد اعتاد الاوربيُّون ان يستخرجوا منهُ كلّ ما يباع باسم (Menthe) ويدعونهُ زيت النعنع وشراب النعنع وروح النعنع الخ . . .

وعلى ذوي الاملاك واصحاب المعامل بهذه الاقطار الشرقية ان يفكروا في وجه استخدام هذا النبات العزيز الدخل فانهُ يغني بلادهم عن كلّ واردات اجنبية من هذا القبيل اذا ما زُرع في اراضيها وأُحسنت تربيتهُ. ومما لا ريب فيهِ ان عمل روح النعنع او شراب النعنع او زيتهِ الى غير ذلك من ضروب استعمالاتهِ رقون معالجاتهِ لا صعوبة فيهِ لمن عرف عمل العرق وغيرهُ من المشروبات

الترامواي في الولايات المتحدة — يعلم القرّاء ان للولايات المتحدة المقام الاعلى في كلّ ما يختصّ بالاختراعات الحديثة . وعليه فقد حسبوا طول سكك الترامواي الموجودة بها في غرّة السنة الحاضرة فوجدوا مجموعها يفوق ٢٤,٠٠٠ كيلومتر . منها ١,٠٥٤ بمدينة شيكاغو

٨٨٠ « بستون

٦٨٣ « نيويرك

٦٦٦ « سان لويس

٦٤٨ « بروكلين

٦٤٠ « فيلادلفية

وامّا سائر المدن فطول الترامواي فيها اصغر من المدن السابقة الذكر . الّا ان ذلك ليس بدليل على ان الترامواي قليل الانتشار بها . لان امتداد السكك يجب حسابها بالنسبة الى اتساع سطح المدينة لا بالنسبة الى طول الترامواي الموجود في غيرها من المدن . فمدينة (Cincinatti) مثلًا لها ٤١٨ كيلومترًا من الترامواي مع انها اصغر من المدن المذكورة آنفًا . وكذلك بوفالو التي هي من اصغر مدن الولايات المتحدة فان الترامواي يبلغ فيها طول ٢٣٤ كيلومترًا

أسئلة وأجوبة

كتب لنا القس جبرائيل ٠٠٠ من بغداد ينتقد على مقالتنا في الزرباء . فبعد الثناء قال ما نصّهُ : « انّ الاوفق والاقرب الى الصحّة والمعنى ان تفسَّر لفظة تدمر (بالاعجوبة) طبقًا لصيغتها الآرامية اي الكلدانية لان تدمر مجزومة من لفظة تْومْرْتا . . . . »

اسم تدمر

(قلنا) اننا لانجهل ان بعض المؤرّخين سعوا في استخراج معنى لفظة تدمر من الكلمة الآرامية المذكورة ولا ننكر ما في هذا الاشتقاق من ظاهر الصحة . الّا ان في الامر نظرًا . لان هذا التفسير يقوّض نص الكتاب المقدس حيث قيل ان سليمان الحكيم بنى تدمر في البريّة . فلو كان معنى تدمر (الاعجوبة) لوجب التسليم بان بانيها غير سليمان اذ

انها قد صارت اعجوبة قبل عهده. وهذا مما لا يقبله ليس فقط من يعزو بناء تدمر الى الملك سليمان بل ايضًا من يزعم ان تدمر المذكورة في الاسفار المكرمة انما هي تمر المدينة الصغيرة الكائنة في براري بلاد يهوذا. فالاحرى عندنا ان العلماء لم يأتوا الى هذه الغاية بما يرتاح اليه العقل في شأن معنى تدمر. واغرب ما قيل في ذلك ان لفظة تدمر هي هندية كاسمي دمشق ومنبج (راجع Hitzig: Z. D. M. G. VIII. p. 209)

اقدم لغة وخط في العالم

ثم سألنا حضرته ١ ما هي اقدم اللغات في العالم ٢ وما هو اقدم خط فيه حسب الآراء الحديثة

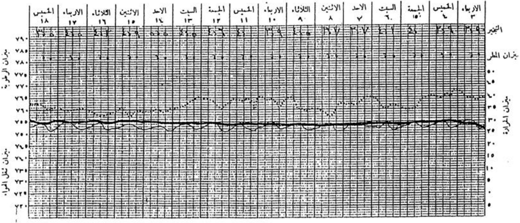
(نجيب) ١ ان السؤال الاول لا معنى فيه اذا وُقِف على ظاهره. لانَّ اقدم اللغات انما هي لغة آدم ابي البشر. واما اذا سأل احد ما هي اقدم اللغات المعروفة وجودها الآن ميتة كانت ام غير ميتة قلنا ان ذلك ايضًا مما لا جواب عليه لان اغلب الألسن القديمة (اعني السامية والحامية والهندية اوربية) يمكن ان نفرض لها اصلًا واحدًا لبعض دلائل تشهد على قرابة ما بينهما

٢ واما الخط فلا يُعرف ايضًا ما هو الاقدم. والذين يقولون ان الخط المصري هو الاقدم لا يقصدون من ذلك سوى نسبة الخط المصري الى الخطوط السامية والاشارة الى ان اغلبها مشتقة من الخط الفينيقي الذي استُخرج من الخط المصري المعروف بالهيراتيك (راجع المشرق ص ٥٣٨). ومما لا نزاع فيه بين معظم العلماء الحديثين ان الخط في كل الامم قد اتى في الابتداء على هيئة هيروغليفية. والحال انهُ لا يُعلم ما هو الهيروغليف الاقدم لعدم الدلائل التاريخية المقنعة

تنبيه

قد وقع في العددين الاخيرين اختلاف في رسم ميزان الحرارة نعدُّ النهار من الظهر الى الظهر وكنَّا سابقًا عددنا من نصف الليل الى نصف الليل وهو غلط يسهل استدراكهُ لمن تبصَّر

قائمة للآثار الجوية من ٣ الى ١٨ آب ١٨٩٨



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخط الرفيع المتابع (—) على ميزان الحرارة (ترمومتر) – أما الخطّ المنقّط (....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هفرومتر) – والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملّمترات وعُشر الملّمترات